

## ٣- باب الصبر

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا ) . [ آل عمران : ٢٠٠ ]  
 وقال تعالى : ( وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ) [البقرة: ١٥٥]  
 وَقَالَ تَعَالَى : ( إِنَّمَا يُؤَقِّ الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ) . [ الزمر : ١٠ ]  
 وَقَالَ تَعَالَى : ( وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ) . [الشورى: ٤٣ ]  
 وَقَالَ تَعَالَى : ( اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ) . [البقرة : ١٥٣]  
 وَقَالَ تَعَالَى : ( وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ ) . [ محمد : ٣١ ] ، والآيات في الأمر بالصَّبْرِ وَبَيَانِ فَضْلِهِ كَثِيرَةٌ مَعْرُوفَةٌ .

-----

تعريف الصبر : هو حبس النفس عن الجزع ، واللسان عن التشكي ، والجوارح عما حرم الله .  
 وقال الشيخ العصيمي حفظه الله ، والصبر : حبس النفس على أمر الله .  
 فأمر الله : الطاعات : أن يصبر على فعلها ، والسيئات : أن يصبر عنها ، والمصائب : أن يصبر عليها ويحتسب .  
 قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا ) فأمرهم بالصبر وهو حال الصابر في نفسه والمصابرة وهي حاله في الصبر مع خصمه .

وقال تعالى ( وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ) يخبر تعالى أنه يتلي عباد ، أي : يختبرهم ويمتحنهم كما قال تعالى ( وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ ) فتارة بالسراء وتارة بالضراء من خوف وجوع ... وكل هذا وأمثاله مما يختبر الله به عباد ، فمن صبر أثابه ومن قنط أحل به عقابه (بَشْيءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ) أي : بقليل من ذلك (وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ) أي : ذهاب بعضها (وَالْأَنْفُسِ) كموت الأصحاب والأقارب والأحباب (وَالثَّمَرَاتِ) أي : لا تغل الحقائق والمزارع كعادتها ، أو ما يصيبها من الآفات (وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ) الصابرين على المصائب بالثواب ، و التبشير : الإخبار بما يسر ، وهذا أمر للرسول ﷺ أو لكل من يقدر على التبشير .

وَقَالَ تَعَالَى ( إِنَّمَا يُؤَقِّ الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ) وهذا عام في جميع أنواع الصبر، الصبر على أقدار الله المؤلمة فلا يتسخطها، والصبر عن معاصيه فلا يرتكبها، والصبر على طاعته حتى يؤديها، فوعد الله الصابرين أجرهم بغير حساب، أي: بغير حد ولا عد ولا مقدار، وما ذاك إلا لفضيلة الصبر ومحله عند الله، وأنه معين على كل الأمور . ( تفسير السعدي ) .

وَقَالَ تَعَالَى ( وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ) على ما يناله من أذى الخلق ( وَغَفَرَ ) لهم، بأن سمح لهم عما يصدر منهم، ( إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ) أي: لمن الأمور التي حث الله عليها وأكدها، وأخبر أنه لا يلقاها إلا أهل الصبر والحظوظ العظيمة، ومن الأمور التي لا يوفق لها إلا أولو العزائم والهمم، وذوو الألباب والبصائر .

فإن ترك الانتصار للنفس بالقول أو الفعل، من أشق شيء عليها، والصبر على الأذى، والصفح عنه، ومغفرته، ومقابلته بالإحسان، أشق وأشق، ولكنه يسير على من يسره الله عليه، وجاهد نفسه على الاتصاف به، واستعان الله على ذلك، ثم إذا ذاق العبد حلاوته، ووجد آثاره، تلقاه برحب الصدر، وسعة الخلق، والتلذذ فيه . ( تفسير السعدي )

وَقَالَ تَعَالَى ( اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ) أي : ( وَاسْتَعِينُوا ) أي اطلبوا العون على أموركم الدنيوية والأخروية (بِالصَّبْرِ) على فعل الطاعات ، وبالصبر عن المعاصي ، وبالصبر على أقدار الله المؤلمة ، وبالصبر وحبس النفس على ما

أمر الله بالصبر عليه معونة عظيمة على كل أمر من الأمور ، ومن يتصبر يصبره الله ، فلا نجاح في الدنيا ، ولا فلاح في الآخرة إلا بالصبر . (وَالصَّلَاةُ) أي استعينوا بالصلاة، فإن الصلاة من أكبر العون على الثبات في الأمر، كما قال تعالى (وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ)، وعن حذيفة . قال (كان رسول الله ﷺ ، إذا حزبه أمر صلى) رواه أبو داود

قال الشنقيطي في بيان سر أن الصلاة معينة على أمور الدنيا والآخرة: لأن العبد إذا وقف بين يدي ربه، يناجي ربه ويتلو كتابه، تذكر ما عند الله من الثواب ، وما لديه من العقاب ، فهان في عينه كل شيء ، وهانت عليه مصائب الدنيا ، واستحقر لذاتها ، رغبة فيما عند الله ، ورهبة مما عند الله .

وَقَالَ تَعَالَى ( وَلَنْبَلُوتَكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ ) أي : ولنختبركم بالأوامر والنواهي والتكاليف كالجهاد في سبيل الله وغيره ( حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ ) أي : لكي يتميز بذلك الصادق من الكاذب ، والمؤمن من المنافق ، كما قال تعالى (أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسْتَهْتُمُ الْبَاسَاءَ وَالضَّرَّاءَ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرُ اللَّهَ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ) .

● وقوله تعالى (حَتَّى نَعْلَمَ ...) المراد علماً يترتب عليه الثواب والعقاب، فلا ينافي أنه كان علماً به قبل ذلك، وفائدة الاختبار ظهور الأمر للناس، قال القرطبي: هذا العلم هو العلم الذي يقع عليه به الجزاء، لأنه إنما يجازيهم بأعمالهم لا بعلمه القديم عليهم.

٢٥- وعن أبي مالك الحارث بن عاصم الأشعري رضي الله عنه ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأَن - أَوْ تَمْلَأُ - مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَالصَّلَاةُ نُورٌ ، وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ ، وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ ، وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ . كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبَائِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوبِقُهَا » رواه مسلم .

( الطُّهُورُ ) بالضم الفعل وبالفتح الماء ، والمراد به الوضوء ، سمي طهوراً لأنه يطهر الأعضاء .

( شَطْرُ ) أي : نصف .

( الْإِيمَانِ ) قيل : المراد به الصلاة كما قال تعالى ( وما كان الله ليضيع إيمانكم ) وقيل : المراد به الوضوء المعروف .

( وَالْحَمْدُ لِلَّهِ ) الحمد : الثناء على الله مع الحبة والتعظيم .

( يَغْدُو ) أي : يذهب باكراً .

( فَمُعْتِقُهَا ) أي : مخلصها .

( أَوْ مُوبِقُهَا ) أي : مهلكها .

١- الحديث دليل على فضل الصبر ، لقوله ( والصبر ضياء ) .

قال ابن رجب : ولما كان الصبر شاقاً على النفوس ، يحتاج إلى مجاهدة النفس ، وحبسها وكفها عما تهواه ، كان ضياءً ، فلا نجاح في الدنيا ولا فلاح في الآخرة إلا بالصبر .

قال الغزالي : فلنسم هذه الصفة التي بها فارق الإنسان البهائم في قمع الشهوات وقهرها [باعثاً دينياً] ولنسم مطالبة الشهوات بمقتضياتها [باعث الهوى] وليفهم أن القتال قائم بين باعث الدين وباعث الهوى ، والحرب بينهما سجال ، ومعركة هذا القتال قلب العبد ، ومدد باعث الدين من الملائكة الناصرين لحزب الله تعالى ، ومدد باعث الشهوات من الشياطين الناصرين لأعداء

الله تعالى ، فالصبر عبارة عن ثبات باعث الدين في مقابلة باعث الشهوة ، فإن ثبت حتى قهره واستمر على مخالفة الشهوة فقد نصر حزب الله ، والتحق بالصابرين ، وإن تخاذل وضعف حتى غلبته الشهوة ولم يصبر في دفعها التحق بأتباع الشياطين .

● **والصبر ثلاثة أنواع :** صبر على الطاعات - وصبر عن معاصي الله - وصبر على أقدار الله المؤلمة .

والصبر على الطاعات وعن المحرمات أفضل من الصبر على الأقدار المؤلمة .

**وفضائل الصبر كثيرة :**

**أولاً :** معية الله للصابرين .

قال تعالى ( إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ) .

**ثانياً :** محبة الله لهم .

قال تعالى ( وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ) .

**ثالثاً :** إطلاق البشري لهم .

قال تعالى ( وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ) .

**رابعاً :** إيجاب الجزاء على أحسن أعمالهم .

قال تعالى ( وَلَنَجْزِيَنَّهُ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ) .

**خامساً :** ضمان المدد والنصرة لهم .

قال تعالى ( بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فُورِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ) .

**سادساً :** استحقاقهم دخول الجنة وتسليم الملائكة عليهم .

قال تعالى ( وَجَزَّاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ) .

وقال تعالى ( وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ . سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ )

**سابعاً :** حفظهم من كيد الأعداء .

قال تعالى ( وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضْرِبُكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ) .

**ثامناً :** سبب للحصول على درجة الإمامة في الدين .

قال تعالى ( وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ) .

**قال ابن تيمية :** بالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين . ثم تلا هذه الآية ( وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا

بآياتنا يوقنون ) .

**تاسعاً :** أنه من أسباب النصر .

كما في حديث ابن عباس ( واعلم أن النصر مع الصبر ) .

**عاشراً :** أمر الله به المؤمنين .

قال تعالى ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ) .

وقال تعالى ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ) .

**الحادي عشر :** الصبر ضياء .

كما في حديث الباب ( والصبر ضياء ) .

**الثاني عشر :** أنه خير ما أعطي العبد .

قال ( ﷺ ) ( وما أعطي أحد عطاء خيراً وأوسع من الصبر ) رواه مسلم .

٢- قوله ( الطهور شطر الإيمان ) المراد بالطهور هنا الحسي وهو الوضوء ، سمي طهوراً لأنه يطهر الأعضاء ، واختلف في معنى ( الإيمان ) :

**ف قيل :** المراد بالإيمان هنا الصلاة ، كما قال تعالى كما قال تعالى ( وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيمَانَكُمْ ) أي : صلاتكم .

ويكون المعنى : الطهور ( برفع الحدث للصلاة ) هو نصف الصلاة ، لأنه مفتاحها التي تفتح به .

**وقيل :** الإيمان هنا على ظاهره وأنه شرائع الدين ، وذلك لأن خصال الإيمان قسمان ، ظاهرة وباطنة ، والطهور من الخصال الظاهرة ، والتوحيد من الخصال الباطنة ، ولذلك قرن النبي ﷺ بينهما في حديث عمر في قوله ﷺ ( ما منكم من أحد يتوضأ فيسبغ الوضوء ثم يقول : أشهد أن لا إله إلا الله ... ، فهذا الحديث جامع بين فعل الوضوء وبين توحيد الله بالإتيان بكلمة التوحيد .

وذهب بعض العلماء إلى أن المراد بالطهارة هنا الطهارة المعنوية التي هي طهارة القلب من نجاسته كالشرك والبدعة والمعصية .

والشطر الآخر تحليته بما فيه قوته وصلاحه مما أمر العبد بفعله .

والصحيح القول الأول وأن المراد بالطهارة هنا الطهارة الحسية ، وعلى هذا عمل الحفاظ كالإمام مسلم والنسائي وابن ماجه ، فإنهم أدخلوا هذا الحديث في كتاب الطهارة ، وأن المراد بالإيمان هنا شرائع الدين .

٣- الحديث دليل على فضل الوضوء ، وقد جاءت أحاديث كثيرة في فضله :

عن عثمان قال : قال رسول الله ﷺ ( من توضأ فأحسن الوضوء خرجت خطاياه من جسده حتى تخرج من تحت أظفاره ) . رواه مسلم وللنسائي ( من أتم الوضوء كما أمره الله ، فالصلوات كفارات لما بينهن ) .

وعن أبي هريرة . قال : قال رسول الله ﷺ ( إذا توضأ العبد المسلم أو المؤمن فغسل وجهه خرج من وجهه كل خطيئة نظر إليها بعينه مع الماء أو مع آخر قطر الماء ، فإذا غسل يديه خرج من يديه كل خطيئة كان بطشتها يده مع الماء أو مع آخر قطر الماء ... ) رواه مسلم .

وعن عقبة بن عامر . قال : قال رسول الله ﷺ ( ما من مسلم يتوضأ فيحسن وضوءه ثم يقوم فيصلّي ركعتين يقبل عليهما بقلبه ووجهه إلا وجبت له الجنة ) رواه مسلم .

٤- الحديث دليل على فضل كلمة ( الحمد لله ) حيث أنها تملأ الميزان .

وقد اختلف في معنى [ تملأ الميزان ] :

**ف قيل :** أنه ضرب مثل ، وأن المعنى لو كان الحمد جسماً ملأ الميزان .

**وقيل :** بل الله عز وجل يمثل أعمال بني آدم وأقوالهم صوراً ترى يوم القيامة وتوزن .

٥- الحديث دليل على فضل قول : سبحان الله والحمد لله ، حيث أنهما تملآن ما بين السماء والأرض ، وقد جاء في رواية النسائي وابن ماجه ( والتسبيح والتكبير ملء السماء والأرض ) وهذه الرواية أشبه بالصواب ، ذكره ابن رجب في جامع العلوم والحكم ، وهو كذلك رواية ودراية ، أما من جهة الرواية فلأن رواية النسائي وابن ماجه أصح طريقاً وأوثق رجالاً ، وأما الدراية ، فلأن ملء الميزان أعظم من ملء ما بين السماء والأرض ، فكيف تكون الحمد لله على الانفراد في الجملة المتقدمة في الحديث ( تملأ الميزان ) ثم إذا اقترنت بالتسبيح تملأ ما بين السماء والأرض الذي هو أقل من ملء الميزان ، فالأظهر تقديم الرواية الأخرى التي وقعت عند النسائي وابن ماجه ( والتسبيح والتكبير ) .

وقد وردت أحاديث كثيرة في فضل هذه الكلمات :

قال ﷺ ( لأن أقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر أحب إلي مما طلعت عليه الشمس ) رواه مسلم  
وقال ﷺ ( أحب الكلام إلى الله أربع : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر ، لا يضرك بأيهن بدأت ) . رواه أحمد  
وقال ﷺ ( لقيت إبراهيم ليلة أسري بي ، فقال يا محمد : أقرئ أمتك مني السلام ... وأنها قيعان ، وأن الجنة طيبة التربة ... وأن  
غراسها سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ) رواه الترمذي .

٦- الحديث دليل على إثبات الميزان ، وفيه مباحث :

أولاً : تعريفه : هو ميزان حقيقي له كفتان .

ثانياً : أدلة ثبوته .

قال تعالى ( وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ) .

وقال تعالى ( فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ) .

وحديث الباب ( .. تملأ الميزان .. ) .

والحديث السابق ( كلمتان ثقيلتان في الميزان ... ) .

ثالثاً : اختلف العلماء في الذي يوزن على أقوال :

القول الأول : أن الذي يوزن الأعمال نفسها .

وإلى هذا ذهب ابن حزم ، والطبي ، وابن حجر .

قال ابن حجر : والصحيح أن الأعمال هي التي توزن .

أ- لحديث الباب ( والحمد لله تملأ الميزان ) .

ب- ولحديث أبي هريرة . قال : قال ﷺ ( كلمتان خفيفتان على اللسان ، ثقيلتان في الميزان ... : سبحان الله وبحمده ، سبحان الله العظيم ) متفق عليه .

قالوا : هذان الحديثان صريحان في وزن الأعمال أنفسها .

ج- ولقوله تعالى ( وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ) .

القول الثاني : أن الذي يوزن العامل ( أي : صاحب العمل ) .

أ- لحديث أبي هريرة . أن رسول الله ﷺ قال ( إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة ) . متفق عليه

ب- ولقوله ﷺ في ابن مسعود ( إن ساقيه أثقل من جبل أحد في الميزان ) رواه أحمد .

القول الثالث : أن الذي يوزن صحائف الأعمال .

وإلى هذا ذهب ابن عبد البر ، والقرطبي .

لحديث البطاقة وفيه ( ... وتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة ، فطاشت السجلات وثقلت البطاقة ، فلا يثقل مع اسم الله شيء ) رواه الترمذي .

القول الرابع : أن الجميع يوزن .

وإلى هذا ذهب ابن كثير ، وابن أبي العز ، وحافظ حكيم ، وابن باز وغيرهم .

قال ابن أبي العز بعدما ساق بعض النصوص الواردة في ذلك : فثبت وزن الأعمال والعامل وصحائف الأعمال .

وقال حافظ حكيم : الذي استظهر من النصوص - والله أعلم - أن العامل وعمله وصحيفة عمله كل ذلك يؤذن ، لأن الأحاديث التي في بيان القرآن قد وردت بكل ذلك ولا منافاة بينها .

وقال الشيخ ابن باز : الجمع بين النصوص أنه لا منافاة بينها فالجميع يوزن ، ولكن الاعتبار في الثقل والخفة يكون بالعمل نفسه لا بذات العامل ولا بالصحيفة .

وهذا القول هو الراجح .

رابعاً : كيف توزن الأعمال مع أنها أعراض ، لأن الوزن يكون للأجسام ؟

أجاب بعضهم : بأن الله تعالى يقلب الأعراض يوم القيامة أجساماً ثم توزن .

قال ابن كثير : قوله ( والحمد لله تملأ الميزان ) فيه دلالة على أن العمل نفسه وإن كان عرضاً قد قام بالفاعل ، يحيله الله يوم القيامة فيجعله ذاتاً يوضع في الميزان .

وقال ابن أبي العز : فلا يلتفت إلى قول ملحد معاند يقول : الأعمال أعراض لا تقبل الوزن ، وإنما يقبل الوزن الأجسام ، فإن الله يقلب الأعراض أجساماً .

خامساً : هل هو ميزان واحد أم متعدد ؟

وردت نصوص تدل على أنه متعدد، كقوله تعالى ( وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ )، وقوله تعالى ( فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ... ) .

ووردت نصوص بالإنفراد، كقوله ﷺ ( كلمتان ثقيلتان في الميزان ) .

والراجح أنه ميزان واحد ، لكنه متعدد باعتبار الموزون .

سادساً : قال القرطبي : قال العلماء : إذا انقضى الحساب كان بعده وزن الأعمال ، لأن الوزن للجزاء ، فينبغي أن يكون بعد المحاسبة ، فإن المحاسبة لتقرير الأعمال ، والوزن لإظهار مقاديره ليكون الجزاء بحسبها .

٧- الحديث دليل على فضل الصلاة وأنها نور .

قال تعالى ( إِنْ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ )

فهي نور في الدنيا كما قال تعالى ( سَيَمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ) .

وهي نور يوم القيامة ، قال ﷺ ( من حافظ عليها [ أي الصلاة ] كانت له نوراً وبرهاناً ونجاة يوم القيامة ، ومن لم يحافظ عليها لم تكن له نوراً ولا برهاناً ولا نجاة وكان يوم القيامة مع قارون وفرعون وهامان وأبي بن خلف ) رواه أبو داود .

٨- الحديث دليل على فضل الصدقة، وأنها دليل وبرهان على صحة إيمان صاحبها، والسبب في ذلك أن المال محبوب للنفوس، فإذا أنفقت منه فهذا دليل على صحة إيمانها بالله وتصديقها بوعده ووعيده .

وللصدقة فضائل كثيرة منها :

أولاً : أنها برهان على صحة الإيمان .

كما في حديث الباب .

ثانياً : أنها تطهير للنفس .

قال تعالى ( خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ ) .

ثالثاً : أنها مضاعفة للحسنات .

قال تعالى ( مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ) .

رابعاً : أنها تغفر الذنوب .

قال ﷺ ( والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار ) رواه الترمذي .

خامساً : درجة الجنة لا تنال إلا بالإتفاق .

قال تعالى ( لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ) .

سادساً : أن الله يخلف الصدقة .

قال تعالى ( وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ ) .

سابعاً : أن الصدقة تزيد المال .

قال ﷺ ( ما نقصت صدقة من مال ) رواه مسلم .

ثامناً : أنها تظلل صاحبها يوم القيامة .

قال ﷺ ( العبد في ظل صدقته يوم القيامة ) رواه أحمد .

٩- وفي قوله ﷺ ( الصلاة نور والصدقة برهان والصبر ضياء )

البرهان : هو الشعاع الذي يلي وجه الشمس محيطاً بقرصها .

والصبر ضياء : وهو النور الذي يكون معه حرارة وإشراق دون إحراق .

فالتمثيل لها بما مثلت به يراد به شيئين :

أحدهما : باعتبار تأثيرها بالروح . ( محله الدنيا ) .

والثاني : باعتبار ما يكون لها من الجزاء . ( محله الآخرة ) .

١٠- الحديث دليل على أن القرآن إما أن يكون حجة للإنسان أو حجة عليه .

يكون حجة للإنسان : إذا اتبع أوامره وانتهى عند نواهيه وعمل به وأقام حدوده .

ويكون حجة على الإنسان : إذا ترك أمره ووقع في نواهيه وأعرض عنه .

قال تعالى ( وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ) .

قال ابن مسعود : القرآن شافع ومشفع ، فمن جعله أمامه قاده إلى الجنة ، ومن جعله خلف ظهره قاده إلى النار .

١١- التحذير من الإعراض عن القرآن .

١٢- أن كل إنسان إما ساعٍ في هلاك نفسه أو فكاكها .

فمن سعى في طاعة الله فقد باع نفسه لله ، وأعتقها من عذابه ، ومن سعى في معصية الله فقد باع نفسه بالهوان وأوبقها بالآثام

الموجبة لغضب الله وعقابه .

قال الحسن : المؤمن في الدنيا كالأسير يسعى في فكاك رقبته ، لا يأمن شيئاً حتى يلتقى الله .

وقال : ابن آدم ! إنك تغدو وتروح في طلب الأرباح ، فليكن همك نفسك ، فإنك لن تربح مثلها أبداً .

وقال أبو بكر بن عياش : قال لي رجل مرة وأنا شاب : خلّص رقبتك ما استطعت في الدنيا من رق الآخرة ، فإن أسير الآخرة

غير مفكوك أبداً ، قال : فوالله ما نسيتها بعد .

وكان بعض السلف يبكي ويقول : ليس لي نفسان ، إنما لي نفس واحدة ، إذا ذهبت لم أجد أخرى .

١٣- الحث على مجاهدة النفس على العمل الصالح .

١٤- التحذير من الأعمال السيئة .

٢٦- وعن أبي سعيد سعد بن مالك بن سنان الخدري رضي الله عنهما: أَنَّ نَاسًا مِنَ الْأَنْصَارِ سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَعْطَاهُمْ، ثُمَّ سَأَلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ، حَتَّى نَفِدَ مَا عِنْدَهُ، فَقَالَ لَهُمْ حِينَ أَنْفَقَ كُلَّ شَيْءٍ يَبْدُهُ: (مَا يَكُنْ عِنْدِي مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ أَدْخِرَهُ عَنْكُمْ، وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفْهُ اللَّهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللَّهُ، وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصْبِرْهُ اللَّهُ. وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ

- ( وعن أبي سعيد سعد بن مالك بن سنان الخدري ) الأنصاري الخزرجي ، غزا مع النبي ﷺ اثنتي عشرة غزوة ، أولها غزوة الخندق سنة خمس ، وكان قبلها صغيراً ، كان من علماء الأنصار مات سنة ( ٧٤ ) ودفن في البقيع .
- ( أَنَّ نَاسًا مِنَ الْأَنْصَارِ سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ) أي : شيئاً من المال .
- ( فَأَعْطَاهُمْ ، ثُمَّ سَأَلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ ) بتكرير السؤال والإعطاء مرتين .
- ( حَتَّى نَفِدَ مَا عِنْدَهُ ) أي : انقطع .
- ( مَا يَكُنْ عِنْدِي مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ أَدْخِرَهُ عَنْكُمْ ) أي : فلن أحبس عنه .
- ( وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ ) أي : من طلب العفة وتكلفتها أعطاه الله إياه ، والاستعفاف : هو الكف عن الحرام ، والسؤال من الناس .
- ( يُعِفُّهُ اللَّهُ ) أي : يرزقه الله العفة ، قال القرطبي : أي يجازيه على استعفائه بصيانته وجهه ورفع فاقته .
- ( وَمَنْ يَسْتَغْنِ ) أي : من يستغن بالله عما سواه ، أو يُظهر الغنى بالاستغناء عن أموال الناس .
- ( يُغْنِيهِ اللَّهُ ) يرزقه الله غنى القلب .
- ( وَمَنْ يَتَصَبَّرْ ) أي : يتكلف في تحمل مشاق الصبر .
- ( يُصْبِرُهُ اللَّهُ ) أي : يعينه الله ويسهل عليه الصبر .
- ( وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ ) أي : الصبر من أفضل ما يعطاه أحد وأوسع .
- ١- الحديث دليل على فضل الصبر ، وأنه من يتبصر ويجاهد نفسه على الصبر يصبره الله ويوفقه ويسهل عليه الصبر . وعلى العبد أن يعرف الأسباب التي تعين على الصبر عن المعصية ، ذكرها ابن القيم :  
أحدها : علم العبد بقبحها وذرالتها ودناءتها .
- السبب الثاني : الحياء من الله عز وجل ، فإن العبد متى علم بنظره إليه ومقامه عليه ، وأنه بمراى منه ومسمع - كان حياً حياً - استحي من ربه أن يتعرض لمساخطه .
- السبب الثالث : مراعاة نعمه عليك وإحسانه إليك .
- السبب الرابع : خوف الله وخشية عقابه .
- السبب الخامس : محبة الله سبحانه ، وهي من أقوى الأسباب في الصبر عن مخالفته ومعاصيه .
- السبب السادس : شرف النفس وزكاؤها وفضلها وأنفتها وحميتها أن تختار الأسباب التي تخطها وتضع قدرها .
- السبب السابع : قوة العلم بسوء عاقبة المعصية وقبح أثرها .
- السبب الثامن : قصر الأمل وعلمه بسرعة انتقاله .
- السبب التاسع : مجانبة الفضول في مطعمه ومشربه وملبسه ومنامه واجتماعه بالناس .

**السبب العاشر :** وهو الجامع لهذه الأسباب كلها : وهو ثبات شجرة الإيمان في القلب ، فصبر العبد عن المعاصي إنما هو بحسب قوة إيمانه . (طريق المهجرتين)

٢- الحديث دليل على أن أفضل ما أعطي العبد الصبر لقوله ( وما أعطي أحد عطاء خيراً وأوسع من الصبر ) .

**قال ابن القيم :** فإن هذا بعد نزول البلاء ، ليس للعبد أوسع من الصبر ، وأما قبله فالعافية أوسع له

**قال السعدي :** وإنما كان الصبر أعظم العطايا ، لأنه يتعلق بجميع أمور العبد وكمالاته ، وكل حالة من أحواله تحتاج إلى صبر ، فإنه يحتاج إلى الصبر على طاعة الله ، حتى يقوم بها ويؤديها ، وإلى صبر عن معصية الله حتى يتركها لله ، وإلى صبر على أقدار الله المؤلمة ، فلا يتسخطها ، بل إلى صبر على نعم الله ومحوبات النفس ، فلا يدع النفس تفرح وتفرح الفرح المذموم ، بل يشتغل بشكر الله ، فهو في كل أحواله يحتاج إلى الصبر وبالصبر ينال الفلاح ، ولهذا ذكر الله أهل الجنة فقال ( وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ) ( سَلَامٌ عَلَيْهِمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ) وكذلك قوله ( أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا ) .

فهم نالوا الجنة بنعيمها ، وأدركوا المنازل بالصبر ، ولكن العبد يسأل الله العافية من الابتلاء الذي لا يدري ما عاقبته ، ثم إذا ورد عليه فوظيفته الصبر . فالعافية هي المطلوبة بالأصالة في أمور الابتلاء والامتحان ، والصبر يؤمر به عند وجود أسبابه ومتعلقاته ، والله هو المعين .

٣- الحديث دليل على فضل الاستغفار عن الناس والاستغناء عنهم .

**قال السعدي :** هذا الحديث اشتمل على أربع جمل جامعة نافعة .

**إحداها :** قوله : ( ومن يستغفر يعفه الله ) .

**والثانية :** قوله : ( ومن يستغن يغنه الله ) .

وهاتان الجملتان متلازمتان ، فإن كمال العبد في إخلاصه لله رغبة ورهبة وتعلقاً به دون المخلوقين . فعليه أن يسعى لتحقيق هذا الكمال ، ويعمل كل سبب يوصله إلى ذلك ، حتى يكون عبداً لله حقاً حراً من رق المخلوقين ، وذلك بأن يجاهد نفسه على أمرين : انصرافها عن التعلق بالمخلوقين بالاستغفار عما في أيديهم ، فلا يطلبه بمقاله ولا بلسان حاله ، ولهذا قال ﷺ لعمر ( ما أتاك من هذا المال وأنت غير مشرف ولا سائل فخذ ، وما لا فلا تتبعه نفسك ) فقطع الإشراف في القلب والسؤال باللسان ، تعففاً وترفعاً عن منن الخلق ، وعن تعلق القلب بهم ، سبب قوي لحصول العفة .

**وتمام ذلك :** أن يجاهد نفسه على الأمر الثاني : وهو الاستغناء بالله والثقة بكفايته ، فإنه من يتوكل على الله فهو حسبه ، وهذا هو المقصود ، والأول وسيلة إلى هذا ، فإن من استغف عما في أيدي الناس وعما يناله منهم ، أوجب له ذلك أن يقوى تعلقه بالله ، ورجاؤه وطمعه في فضل الله وإحسانه ، ويحسن ظنه وثقته بربه ، والله تعالى عند حسن ظن عبده به ، إن ظن خيراً فله ، وإن ظن غير فله ، وكل واحد من الأمرين يمد الآخر فيقويه ، فكلما قوي تعلقه بالله ضعف تعلقه بالمخلوقين وبالعكس .

ومن دعاء النبي ﷺ ( اللهم إني أسألك الهدى والتقى ، والعفاف والغنى ) فجمع الخير كله في هذا الدعاء ، فالهدى : هو العلم النافع ، والتقى : هو العمل الصالح ، وترك المحرمات كلها ، هذا صلاح الدين .

وتمام ذلك بصلاح القلب ، وطمأنينته بالعفاف عن الخلق ، والغنى بالله ، ومن كان غنياً بالله فهو الغني حقاً ، وإن قلت حواصله ، فليس الغنى عن كثرة العرض ، إنما الغنى غنى القلب ، وبالعفاف والغنى يتم للعبد الحياة الطيبة ، والنعيم الدنيوي ، والقناعة بما آتاه الله .

● **وقال ابن تيمية :** سبحانه أكرم ما تكون عليه أحوج ما تكون إليه .

● **وقال ابن القيم :** يستعين الإنسان على التجرد من الطمع والفرع ؟ بالتوحيد والتوكل والثقة بالله ، وعلمك بأنه لا يأتي بالحسنات إلا هو ، ولا يذهب بالسيئات إلا هو ، وأن الأمر كله لله ، ليس لأحد مع الله شيء

● **وقال ابن رجب رحمه الله :** وقد تكاثرت الأحاديث عن النبي ﷺ بالأمر بالاستعفاف عن مسألة الناس والاستغناء عنهم ، فمن سأل الناس ما بأيديهم ، كرهوه وأبغضوه ، لأن المال محبوب لنفوس بني آدم ، فمن طلب منهم ما يحبونه ، كرهوه لذلك .

وكان عمر يقول في خطبته : إن الطمع فقر ، وإن اليأس غنى ، وإن الإنسان إذا أيس من الشيء استغنى عنه .

**وقال رحمه الله :** وفي النهي عن مسألة المخلوقين أحاديث كثيرة صحيحة ، وقد بايع النبي ﷺ جماعة من أصحابه على أن لا يسألوا الناس شيئاً ، منهم : أبو بكر الصديق ، وأبو ذر ، وثوبان ، وكان أحدهم يسقط سوطه أو خطام ناقته ، فلا يسأل أحداً أن يناوله إياه .

واعلم أن سؤال الله تعالى دون خلقه هو المتعين ؛ لأن السؤال فيه إظهار الذل من السائل والمسكنة والحاجة والافتقار ، وفيه الاعتراف بقدر المسؤولية على دفع هذا الضرر ، ونيل المطلوب ، وجلب المنافع ، ودرء المضار ، ولا يصلح الذل والافتقار إلا لله وحده ؛ لأنه حقيقة العبادة ، وكان الإمام أحمد يدعو ويقول : اللهم كما صنت وجهي عن السجود لغيرك فصنته عن المسألة لغيرك ، ولا يقدر على كشف الضرر وجلب النفع سواه . كما قال ( وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ ) وقال ( مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ ) .

● **وقال ابن تيمية :** سؤال المخلوقين فيه ثلاث مفاصد :

الأولى : مفسدة الافتقار إلى غير الله وهي نوع من الشرك .

والثانية : مفسدة إيذاء المسؤول وهي نوع من ظلم الخلق .

والثالثة : فيه ذل لغير الله وهو ظلم للنفس ، فهو مشتمل على أنواع الظلم الثلاثة .

● **من فضائل العفة :**

**أولاً :** أنها من خصال أهل الإيمان :

قال تعالى ( قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ . الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ . وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ . وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ . وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ . إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ) .

ثانياً : أنها من أسباب الفوز بظلال الله يوم القيامة .

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال ( سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله : الإمام العادل ، وشاب نشأ في عبادة ربه ، ورجل قلبه معلق في المساجد ، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه ، ورجل طلبته امرأة ذات منصب وجمال فقالت إني أخاف الله ، ورجل صدق أحمى حتى لا تعلم بثمالة ما تنفق يمينه ، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه ) . متفق عليه

ثالثاً : أن أهل العفة ينالون عون الله .

ففي سنن الترمذي وغيره عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ ( ثلاثة حق على الله عونهم : المجاهد في سبيل الله ، والمكاتب الذي يريد الأداء ، والتاكح الذي يريد العفاف ) .

رابعاً : أن النبي ﷺ كان يدعو بها .

عن ابن مسعود قال ( كان النبي ﷺ يدعو : اللهم إني أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى ) رواه مسلم .

خامساً : أنها من أسباب سعادة المرء .

كما قال بعض السلف : والله للذة العفة أعظم من لذة الذنب .

**وقال الغزالي :** ولا معيشة أهنأ من العفة، ولا عبادة أحسن من الخشوع، ولا زهد خير من القنوع، ولا حارس أحفظ من الصمت، ولا غائب أقرب من الموت .

**قال حكيم :** إذا أراد الله بعبد خيراً ألهمه الطاعة وألزمه القناعة وأكساه العفاف .

عن وهب بن منبه أنه قال: الإيمان عريان ولباسه التقوى، وزينته الحياء، وماله العفة .

**قال الحسن رحمه الله:** لا تزال كريماً على الناس ما لم تعاط ما في أيديهم، فإذا فعلت ذلك استخفوا بك، وكرهوا حديثك، وأبغضوك .

**وقال أيوب السخيتاني :** لا ينبل الرجل حتى تكون فيه خصلتان: العفة عما في أيدي الناس، والتجاوز عما يكون منهم .

وقال أعرابي لأهل البصرة: من سيد أهل هذه القرية؟ قالوا: الحسن. قال: بما سادهم؟ قالوا: احتاج الناس إلى علمه، واستغنى هو عن دنياهم .

٥- كيفية السبيل إلى التعلق بالله والتعفف عن الناس :

**أولاً :** بالصبر ومجاهدة النفس .

لحديث الباب ( ومن يستعفف يعفه الله ، ومن يستغن يغنه الله ) .

**ثانياً :** بالدعاء .

فقد كان النبي ﷺ يقول ( اللهم إني أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى ) رواه مسلم .

**قال ابن تيمية :** وكل من علق قلبه بالمخلوقات أن ينصروه أو يرزقوه أو أن يهدوه خضع قلبه له، وصار فيه من العبودية لهم بقدر ذلك، وإن كان في الظاهر أميراً لهم مدبراً لهم متصرفاً بهم، فالعاقل ينظر إلى الحقائق لا إلى الظواهر، فالرجل إذا تعلق قلبه بامرأة ولو كانت مباحة له يبقى قلبه أسيراً لها تحكم فيه وتتصرف بما تريد، وهو في الظاهر سيدها لأنه زوجها ، وفي الحقيقة هو أسيرها ومملوكها، لا سيما إذا درت بفرقه إليها وعشقه لها وأنه لا يعتاض عنها بغيرها ، فإنها حينئذ تحكم فيه بحكم السيد القاهر الظالم في عبده المقهور الذي لا يستطيع الخلاص منه بل أعظم ، فإن أسر القلب أعظم من أسر البدن، واستعباد القلب أعظم من استعباد البدن، فإن من استعبد بدنه واسترق لا يبالي إذا كان قلبه مستريحاً من ذلك مطمئناً ، بل يمكنه الاحتياص في الخلاص ، وأما إذا كان القلب -الذي هو الملك- رقيقاً مستعبداً مقيماً لغير الله فهذا هو الذل والأسر المحض والعبودية لما استعبد القلب .

وعبودية القلب وأسرته هي التي يترتب عليها الثواب والعقاب، فإن المسلم لو أسره كافر أو استرقه فاجر بغير حق لم يضره ذلك إذا كان قائماً بما يقدر عليه من الواجبات ، ومن استعبد بحق إذا أدى حق الله وحق مواليه له أجران، ولو أكره على التكلم بالكفر فتكلم به وقلبه مطمئن بالإيمان لم يضره ذلك، وأما من استعبد قلبه فصار عبداً لغير الله فهذا يضره ذلك ولو كان في الظاهر ملك الناس. فالحرية حرية القلب، والعبودية عبودية القلب، كما أن الغنى غنى النفس .

● **وقال ابن القيم :** أعظم الناس خذلاناً من تعلق بغير الله، فإن ما فاتته من مصالحه وسعادته وفلاحه أعظم مما حصل له ممن تعلق به، وهو معرض للزوال والفوات، ومثل المتعلق بغير الله كممثل المستظل من الحر والبرد ببيت العنكبوت أو هن البيوت .

وقال: الجاهل يشكو الله إلى الناس، وهذا غاية الجهل بالمشكو والمشكو إليه، فإنه لو عرف ربه لما شكاه، ولو عرف الناس لما شكوا إليهم، ورأى بعض السلف رجلاً يشكو إلى رجل فاقته وضرورته، فقال: يا هذا، والله ما زدت على أن شكوت من يرحمك إلى من لا يرحمك، وفي ذلك قيل:

وإذا شكوت إلى ابن آدم ---- إنما تشكو الرحيم إلى الذي لا يرحم

٢٧- وعن أبي يحيى صهيب بن سنان رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «عَجَباً لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ لَهُ خَيْرٌ وَلَيْسَ ذَلِكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ: إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَاءٌ شَكَرَ فَكَانَ خَيْراً لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَاءٌ صَبَرَ فَكَانَ خَيْراً لَهُ» رواه مسلم.

( وعن أبي يحيى صهيب بن سنان ) بن مالك أبو يحيى الرومي ، وإنما قيل له : الرومي ، لأن الروم سبوه صغيراً ، صحابي شهير ، مات بالمدينة سنة ٣٨ في خلافة علي ، وقيل قبل ذلك .

١- الحديث دليل على فضل الله تعالى، حيث إن المؤمن إن أصابته ضراء فصبر فكان خيراً، وإن أصابته سراء فشكر كان خيراً. وفي المسند عنه ( والذي نفسي بيده لا يقضى الله للمؤمن قضاء إلا كان خيراً له ، إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له ، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له ، وليس ذلك إلا للمؤمن ) .

وفي لفظ ( إن أمر المؤمن كله عجب ، إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له ، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له ) . وفي لفظ لأحمد ( عجبٌ للمؤمن ، إن أصابه خير حمد الله وشكر ، وإن أصابته مصيبة حمد الله وصبر ، فالمؤمن يُوجر في كل أمره ، حتى في اللقمة يرفعها إلى في امرأته ) .

٢- إن المؤمن في هذه الدنيا دائر بين نعمة ومصيبة ، فالنعمة يقابلها بالشكر ، والمصيبة يقابلها بالصبر ، وهذا من أعظم علامات السعادة .

فالعبد لا ينفك عن هذه الأمور الثلاثة أبداً :

إذا أذنب استغفر ، وإذا أعطي شكر ، وإذا ابتلي صبر .

قال ابن القيم : فإن هذه الثلاثة هي عنوان سعادة العبد ، وعلامة فلاحه في دنياه وأخراه ، ولا ينفك عبد عنها أبداً ، فإن العبد دائم التقلب بين هذه الأطباق الثلاث .

الأولى : نعم من الله تعالى تترادف عليه فقيدها ( الشكر ) وهو مبني على ثلاثة أركان : الاعتراف بما باطنا والتحدث بما ظاهرا وتصريفها في مرضاة وليها ومسديها ومعطيها فإذا فعل ذلك فقد شكرها مع تقصيره في شكرها .

الثانية : محن من الله تعالى يبتلي بها ففرضه فيها ( الصبر ) والتسلي والصبر حبس النفس عن التسخط بالمقدور ، وحبس اللسان عن الشكوى ، وحبس الجوارح عن المعصية كاللطم وشق الثياب وتنف الشعر ونحوه ، فمدار الصبر على هذه الأركان الثلاثة فإذا قام به العبد كما ينبغي انقلبت المحنة في حقه منحة واستحالت البلية عطية وصار المكروه محبوباً .

فإن الله سبحانه وتعالى لم يبتله ليهلكه وإنما ابتلاه ليمتحن صبره وعبوديته ، فإن الله تعالى على العبد عبودية الضراء ، وله عبودية عليه فيما يكره كما له عبودية فيما يحب ، وأكثر الخلق يعطون العبودية فيما يحبون ، والشأن في إعطاء العبودية في المكروه ، ففيه تفاوت مراتب العباد وبحسبه كانت منازلهم عند الله تعالى .

لماذا هذه هي عنوان السعادة ؟

لأن الإنسان لا ينفك عن حال من هذه الحالات الثلاث .

إما أن يُعطى ، وإما أن يتلى ، وإما أن يذنب ويقع في الذنب . [ فإن قام بوظيفة كل حالة فهو السعيد لأنه حقق عبودية الله فيها ] .

لأن الإنسان إما أن يكون في نعمة ، فما هي وظيفة هذه النعمة ؟ ما هو واجبه تجاه نعم الله ؟ هو شكرها والقيام بشكرها .

وإما أن يقع بذنب — ولا يسلم أحد من الذنوب — فما هو الواجب على من وقع في ذنب ؟؟ الواجب عليه أن يستغفر ربه وأن يتوب وأن يعود إلى الله .

وإما أن يكون في محنة وبليّة ومصيبة ؟ فما هو موقف المسلم إذا أصيب ببلاء أو مصيبة ؟ الصبر والاحتساب الأجر عند الله .  
فلذلك صارت هذه الثلاث من أعظم أسباب السعادة .

لأنه حقق العبودية لربه على كل أحواله، وهكذا المؤمن حقاً، يسعى في رضا الله وتحقيق عبوديته على أي حالة يمر بها في حياته .  
● وبما أن الشكر منزلته عظيمة ، فكيف نحقق الشكر ؟ نحققه بأمور :

أولاً : سؤال الله ذلك ، بأن يوفقنا لشكره والتضرع في ذلك .

كما قال تعالى عن سليمان ( رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي ) .

وقد أوصى النبي ﷺ معاذ بن جبل أن يقول دبر كل صلاة ( اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك ) .

ثانياً : أن ينظر إلى من هو دونه في أمور الدنيا [ ينظر للفقراء ومن هم أقل منه ] فإذا فعل ذلك استعظم ما أعطاه الله .

ولذلك قال ﷺ (انظروا إلى من هو أسفل منكم ولا تنظروا إلى من هو فوقكم، فإنه أجدر أن لا تزدروا نعمة الله عليكم) متفق عليه

قال عون بن عبد الله : صحبت الأغنياء ، فلم أر أحداً أكبر همّاً مني ، أرى دابة خيراً من دابتي ، وثوباً خيراً من ثوبي ، وصحبت الفقراء فاسترحت.

٣- إن من أعظم أسباب الإيمان بالقضاء والقدر اليقين بهذا الحديث .

قال ابن رجب : ومما يدعو المؤمن إلى الرضا بالقضاء تحقيق إيمانه بمعنى قول النبي ﷺ ( لا يقضي الله للمؤمن قضاءً إلا كان خيراً

له : إن أصابته سراء شكر ، كان خيراً له ، وإن أصابته ضراء صبر ، كان خيراً له ، وليس ذلك إلا للمؤمن ) .

قال السعدي في كتابه : الوسائل المفيدة للحياة السعيدة :

ومن أنفع الأشياء في هذا الموضع استعمال ما أرشد إليه النبي ﷺ في الحديث الصحيح حيث قال (انظروا إلى من هو أسفل

منكم ولا تنظروا إلى من هو فوقكم فإنه أجدر أن لا تزدروا نعمة الله عليكم ) فإن العبد إذا نصب بين عينيه هذا الملحظ الجليل

رآه يفوق جمعاً كثيراً من الخلق في العافية وتوابعها، وفي الرزق وتوابعه مهما بلغت به الحال، فيزول قلقه وهمه وغمه، ويزداد سروره

واغتباطه بنعم الله التي فاق فيها غيره ممن هو دونه فيها.

وكلما طال تأمل العبد بنعم الله الظاهرة والباطنة ، الدينية والدنيوية، رأى ربه قد أعطاه خيراً ودفع عنه شروراً متعددة، ولا شك أن

هذا يدفع الهموم والغموم، ويوجب الفرح والسرور .

٢٨- وعن أنسٍ رضي الله عنه ، قَالَ : لَمَّا ثَقُلَ النَّبِيُّ ﷺ جَعَلَ يَتَغَشَّاهُ الْكَرْبُ ، فَقَالَتْ فَاطِمَةُ رضي الله عنها : وَكَرَبَ أَبْتَاهُ . فَقَالَ : (( لَيْسَ عَلَى أَبِيكَ كَرْبٌ بَعْدَ الْيَوْمِ )) فَلَمَّا مَاتَ ، قَالَتْ : يَا أَبْتَاهُ ، أَجَابَ رَبًّا دَعَاهُ ! يَا أَبْتَاهُ ، جَنَّةُ الْفِرْدَوْسِ مَأْوَاهُ ! يَا أَبْتَاهُ ، إِلَى جَبْرِيلَ نَنَعَاهُ ! فَلَمَّا دُفِنَ قَالَتْ فَاطِمَةُ رضي الله عنها : أَطَابَتْ أَنْفُسُكُمْ أَنْ تَحْثُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ التُّرَابَ ؟! رواه البخاري .

( لَمَّا ثَقُلَ ) أي : من شدة المرض .

( الْكَرْبُ ) الشدة من سكرات الموت .

( فَلَمَّا دُفِنَ قَالَتْ فَاطِمَةُ رضي الله عنها : أَطَابَتْ أَنْفُسُكُمْ أَنْ تَحْثُوا ... ) أشارت رضي الله عنها إلى عتابهم على إقدامهم على ذلك ، لأنه يدل على خلاف ما عرفته منهم من رقة قلوبهم عليه لشدة محبتهم له ، وسكت أنس عن جوابها رعاية لها ولسان حاله يقول : لم تطب أنفسنا بذلك ، إلا أنا فهرناها على فعله امتثالاً لأمره . ، وقد قال أبو سعيد فيما أخرجه البزار بسند جيد : وما نفضنا أيدينا حتى أنكرنا قلوبنا .

١- الحديث دليل على جواز التوجع للميت عند احتضاره ، وأنه ليس من النياحة ، لأن النبي ﷺ أقرها على ذلك .

٢- مصداق قوله تعالى ( إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ) .

٣- مصداق قوله ﷺ ( أَشَدَّ النَّاسِ بِلَاءَ الْأَنْبِيَاءِ ، ثُمَّ الصَّالِحُونَ ، ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَالْأَمْثَلُ ، يُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ ، فَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ صِلَابَةٌ زِيدَ فِي بِلَائِهِ ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رَقَّةٌ خَفَّفَ عَنْهُ ) رواه الترمذي .

٢٩- وعن أبي زيدٍ أَسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ بنِ حَارِثَةَ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَجِبِّهِ وَابْنِ حَبِّهِ رضي الله عنهما ، قَالَ : أُرْسِلَتْ بِنْتُ النَّبِيِّ ﷺ إِنَّ ابْنِي قَدْ احْتَضَرَ فَأَشْهَدُنَا ، فَأَرْسَلَ يُقْرِئُ السَّلَامَ ، وَيَقُولُ : (( إِنَّ اللَّهَ مَا أَخَذَ وَلَهُ مَا أُعْطِيَ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِأَجَلٍ مُسَمًّى فَلْتَصَبِرْ وَلْتَحْتَسِبْ )) فَأَرْسَلَتْ إِلَيْهِ تُقْسِمُ عَلَيْهِ لِيَأْتِيَنَهَا . فَقَامَ وَمَعَهُ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ ، وَمُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ ، وَأُيُوبُ بْنُ كَعْبٍ ، وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ ، وَرَجُلٌ ﷺ ، فَرَفَعَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الصَّبِيَّ ، فَأَقْعَدَهُ فِي حِجْرِهِ وَنَفْسُهُ تَقَعَّقُ ، فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ فَقَالَ سَعْدُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَا هَذَا ؟ فَقَالَ : (( هَذِهِ رَحْمَةٌ جَعَلَهَا اللَّهُ تَعَالَى فِي قُلُوبِ عِبَادِهِ )) وفي رواية : (( فِي قُلُوبِ مَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادِهِ ، وَإِنَّمَا يَرْحَمُ اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ الرُّحَمَاءَ )) مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ . وَمَعْنَى (( تَقَعَّقُ )) : تَتَحَرَّكُ وَتَضْطَرُّبُ .

( أَسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ بنِ حَارِثَةَ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ) الحبُّ بن الحب ، مولى رسول الله ﷺ ، استعمله رسول الله ﷺ على جيش فيه أبو بكر وعمر فلم ينفذ حتى توفي النبي ﷺ ، فبعثه أبو بكر إلى الشام ، واعتزل أسامة الفتن بعد قتل عثمان إلى أن مات في أواخر خلافة معاوية عام ٥٤ هـ .

( قَالَ : أُرْسِلَتْ بِنْتُ النَّبِيِّ ﷺ ) هي زينب كما جاء في رواية عند ابن أبي شيبة .

( إِنَّ ابْنِي قَدْ احْتَضَرَ ) وفي رواية للبخاري ( إِنَّ ابْنًا لِي قَبِضَ فَأَتَانَا ) أي : فرب من أن يقبض ، أي : هو في حالة القبض ومعالجة الروح .

( إِنَّ اللَّهَ مَا أَخَذَ ) أي : إن هذا الذي أخذ منكم له ، لا لكم ، فلم يأخذ إلا ما هو له ، فينبغي أن لا تجزعوا .

( وَكُلُّ شَيْءٍ ) أي : من الأخذ والإعطاء .

(عِنْدَهُ بِأَجَلٍ مُّسَمًّى) أي : مقدر بأجل معلوم .

(وَنَفْسُهُ تَفْعَعُ) أي : تضطرب وتتحرك .

١ - الحديث دليل على وجوب الصبر على المصائب .

قال ابن القيم مبيناً علاج المصيبة :

قَالَ تَعَالَى ( وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاغِبُونَ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ) .

وفي " المُسْتَد" عَنْهُ عليه السلام أَنَّهُ قَالَ ( مَا مِنْ أَحَدٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ فَيَقُولُ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاغِبُونَ اللَّهُمَّ أَجْزِنِي فِي مُصِيبَتِي وَأَخْلِفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا إِلَّا أَجَارَهُ اللَّهُ فِي مُصِيبَتِهِ وَأَخْلَفَ لَهُ خَيْرًا مِنْهَا )

وهذه الكلمة من أبلغ علاج المصائب وأنفعه له في عاجلته وآجلته فإنها تتضمن أصلين عظيمين إذا تحقق العبد بمعرفتهما تسلى عن مصيبته :

أحدهما : أَنَّ الْعَبْدَ وَأَهْلَهُ وَمَالَهُ مِلْكٌ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ حَقِيقَةٌ وَقَدْ جَعَلَهُ عِنْدَ الْعَبْدِ عَارِيَةً فَإِذَا أَخَذَهُ مِنْهُ فَهُوَ كَالْمُعِيرِ يَأْخُذُ مَتَاعَهُ مِنَ الْمُسْتَعِيرِ وَأَيْضًا فَإِنَّهُ خَافُوفٌ بَعْدَ مَيِّنٍ عَدِمَ قَبْلَهُ وَعَدِمَ بَعْدَهُ وَمِلْكُ الْعَبْدِ لَهُ مُتَعَةٌ مُعَارَةٌ فِي زَمَنِ يَسِيرٍ وَأَيْضًا فَإِنَّهُ لَيْسَ الَّذِي أَوْجَدَهُ عَنْ عَدَمِهِ حَتَّى يَكُونَ مِلْكُهُ حَقِيقَةً وَلَا هُوَ .

والثاني : أَنَّ مُصِيرَ الْعَبْدِ وَمَرْجِعَهُ إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُ الْحَقُّ وَلَا بُدَّ أَنْ يُخْلَفَ الدُّنْيَا وَرَاءَ ظَهْرِهِ وَيَجِيءَ رَبُّهُ فَرْدًا كَمَا خَلَقَهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ بِلَا أَهْلِ وَلَا مَالٍ وَلَا عَشِيرَةٍ وَلَكِنْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ فَإِذَا كَانَتْ هَذِهِ بَدَايَةَ الْعَبْدِ وَمَا حَوْلَهُ وَنَهَايَتُهُ فَكَيْفَ يَفْرَحُ بِمَوْجُودٍ أَوْ يَأْسَى عَلَى مَفْقُودٍ فَفِكْرُهُ فِي مَبْدِئِهِ وَمَعَادِهِ مِنْ أَعْظَمِ عِلَاجٍ هَذَا الدَّاءِ .

وَمِنْ عِلَاجِهِ : أَنْ يَعْلَمَ عِلْمَ الْيَقِينِ أَنَّ مَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ وَمَا أَخْطَأَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ .

قال تَعَالَى ( مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ لِكَيْ لَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ) .

وَمِنْ عِلَاجِهِ : أَنْ يَنْظُرَ إِلَى مَا أُصِيبَ بِهِ فَيَجِدُ رَبَّهُ قَدْ أَبْقَى عَلَيْهِ مِثْلَهُ أَوْ أَفْضَلَ مِنْهُ وَادَّخَرَ لَهُ - إِنْ صَبَرَ وَرَضِيَ - مَا هُوَ أَعْظَمُ مِنْ قَوَاتِ تِلْكَ الْمُصِيبَةِ بِأَضْعَافٍ مُضَاعَفَةٍ وَأَنَّهُ لَوْ شَاءَ لَجَعَلَهَا أَعْظَمَ مِمَّا هِيَ .

وَمِنْ عِلَاجِهِ : أَنْ يُطْفِئَ نَارَ مُصِيبَتِهِ بِزَوْدِ التَّأْسَى بِأَهْلِ الْمَصَائِبِ وَلِيَعْلَمَ أَنَّهُ فِي كُلِّ وَادٍ بَنُو سَعْدٍ، وَلِيَنْظُرَ بِمَنَّةٍ فَهَلْ يَرَى إِلَّا مِخْنَةً؟ ثُمَّ لِيُعْطِفَ يَسْرَةً فَهَلْ يَرَى إِلَّا حَسْرَةً؟ وَأَنَّهُ لَوْ فَتَشَ الْعَالَمُ لَمْ يَرَ فِيهِمْ إِلَّا مُبْتَلًى إِمَّا بِقَوَاتٍ مَحْبُوبٍ أَوْ حُصُولٍ مَكْرُوهٍ ، وَأَنَّ شُرُورَ الدُّنْيَا أَخْلَافٌ نُورٌ أَوْ كُظَلٌ زَائِلٌ ، إِنْ أَضْحَكْتَ فَلَيْلًا أَبْكْتَ كَثِيرًا ، وَإِنْ سَرَّتْ يَوْمًا سَاءَتْ دَهْرًا ، وَإِنْ مَتَّعْتَ فَلَيْلًا خَيْرٌ إِلَّا مَلَائِكًا عَبْرَةً ، وَلَا سَرَّتْهُ يَوْمٌ سُورٍ إِلَّا خَبَّاتٌ لَهُ يَوْمَ سُورٍ .

قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه لِكُلِّ فَرْخَةٍ تَرْخَةُ ، وَمَا مُلِئَ بَيْتٌ فَرْحًا إِلَّا مُلِئَ تَرْحًا .

وَقَالَ ابْنُ سِيرِينَ : مَا كَانَ ضَحِكٌ قَطُّ إِلَّا كَانَ مِنْ بَعْدِهِ بُكَاءٌ .

وَمِنْ عِلَاجِهَا : أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ الْجَزَعَ لَا يَزِدُّهَا بَلْ يُضَاعِفُهَا وَهُوَ فِي الْحَقِيقَةِ مِنْ تَزَايِدِ الْمَرَضِ .

وَمِنْ عِلَاجِهَا : أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ قَوْتَ ثَوَابِ الصَّبْرِ وَالتَّسْلِيمِ وَهُوَ الصَّلَاةُ وَالرَّحْمَةُ وَالْهَدَايَةُ الَّتِي ضَمِنَهَا اللَّهُ عَلَى الصَّبْرِ وَالِاسْتِزْجَاعِ أَعْظَمُ مِنَ الْمُصِيبَةِ فِي الْحَقِيقَةِ .

وَمِنْ عِلَاجِهَا : أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ الْجَزَعَ يُشْمِتُ عَدُوَّهُ وَيَسْوِئُ صَدِيقَهُ وَيُغْضِبُ رَبَّهُ وَيَسْرِ شَيْطَانَهُ وَيُخْطِطُ أَجْرَهُ وَيُضْعِفُ نَفْسَهُ وَإِذَا صَبَرَ وَاحْتَسَبَ أَنْضَى شَيْطَانَهُ وَرَدَّهُ خَاسِئًا وَأَرْضَى رَبَّهُ وَسَرَّ صَدِيقَهُ وَسَاءَ عَدُوهُ .

وَمِنْ عِلَاجِهَا : أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ مَا يُعْقِبُهُ الصَّبْرُ وَالْإِحْتِسَابُ مِنَ اللَّدَّةِ وَالْمَسَرَّةِ أَضْعَافُ مَا كَانَ يَحْصُلُ لَهُ بِبَقَاءِ مَا أُصِيبَ بِهِ لَوْ بَقِيَ عَلَيْهِ وَيَكْفِيهِ مِنْ ذَلِكَ بَيْتُ الْحَمْدِ الَّذِي يُبْنَى لَهُ فِي الْجَنَّةِ عَلَى حَمْدِهِ رَبِّهِ وَاسْتِرْجَاعِهِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّ الْمُصِيبَتَيْنِ أَعْظَمُ ؟

وَمِنْ عِلَاجِهَا : أَنْ يُرَوِّحَ قَلْبَهُ بِرُوحِ رَجَاءِ الْخُلْفِ مِنَ اللَّهِ ، فَإِنَّهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ عِوَضٌ إِلَّا اللَّهَ فَمَا مِنْهُ عِوَضٌ كَمَا قِيلَ : مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِذَا ضَيَعْتَهُ عِوَضٌ وَمَا مِنَ اللَّهِ إِنْ ضَيَعْتَهُ عِوَضٌ .

وَمِنْ عِلَاجِهَا : أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ خَطَأَهُ مِنَ الْمُصِيبَةِ مَا تُحْدِثُهُ لَهُ ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَى وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السَّخَطُ فَحَظَّكَ مِنْهَا مَا أَخَذْتَهُ لَكَ فَاخْتَرْ خَيْرَ الْخُطُوطِ أَوْ شَرَّهَا .

وَمِنْ عِلَاجِهَا : أَنْ يَعْلَمَ أَنَّهُ وَإِنْ بَلَغَ فِي الْجَزَعِ غَايَتَهُ فَاجْرَأْ أَمْرَهُ إِلَى صَبْرِ الْاضْطِرَارِ وَهُوَ غَيْرُ مُحَمَّدٍ وَلَا مُثَابٍ .

قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : الْعَاقِلُ يَفْعَلُ فِي أَوَّلِ يَوْمٍ مِنَ الْمُصِيبَةِ مَا يَفْعَلُهُ الْجَاهِلُ بَعْدَ أَيَّامٍ وَمَنْ لَمْ يَصْبِرْ صَبَرَ الْكَرَامِ سَلَا سَلَوِ الْبَهَائِمِ .  
وَفِي "الصَّحِيحِ" مَرْفُوعًا ( الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الْأُولَى ) .

وَقَالَ الْأَشْعَثُ بْنُ قَيْسٍ : إِنَّكَ إِنْ صَبَرْتَ إِيْمَانًا وَاحْتِسَابًا وَإِلَّا سَلَوْتَ سَلَوِ الْبَهَائِمِ .

وَمِنْ عِلَاجِهَا : أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ أَنْفَعَ الْأَدْوِيَةِ لَهُ مُوَافَقَةُ رَبِّهِ وَإِلَهِيهِ فِيمَا أَحَبَّهُ وَرَضِيَهُ لَهُ ، وَأَنَّ خَاصِيَةَ الْمَحَبَّةِ وَسِرَّهَا مُوَافَقَةُ الْمُحِبُّوبِ ، فَمَنْ ادَّعَى مَحَبَّةَ مُحِبُّوبٍ ثُمَّ سَخِطَ مَا يُحِبُّهُ وَأَحَبَّ مَا يَسْخَطُهُ فَقَدْ شَهِدَ عَلَى نَفْسِهِ بِكَذِبِهِ وَتَمَقَّتْ إِلَى مُحِبُّوبِهِ .

قَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ : إِنَّ اللَّهَ إِذَا قَضَى قَضَاءً أَحَبَّ أَنْ يُرْضَى بِهِ .

وَمِنْ عِلَاجِهَا : أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ الَّذِي ابْتَلَاهُ بِهَا أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ ، وَأَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ، وَأَنَّهُ سُبْحَانَهُ لَمْ يُرْسِلْ إِلَيْهِ الْبَلَاءَ لِيُهْلِكَهُ بِهِ ، وَلَا لِيُعَذِّبَهُ بِهِ ، وَلَا لِيَجْنَحَهُ وَإِنَّمَا افْتَقَدَهُ بِهِ لِيَمْتَحِنَ صَبْرَهُ وَرِضَاهُ عَنْهُ وَإِيْمَانَهُ ، وَلِيَسْمَعَ تَضَرُّعَهُ وَابْتِهَالَهُ .

وَمِنْ عِلَاجِهَا : أَنْ يَعْلَمَ أَنَّهُ لَوْ لَا مَحَنُ الدُّنْيَا وَمَصَائِبُهَا لِأَصَابِ الْعَبْدِ - مِنْ أَدْوَاءِ الْكِبَرِ وَالْعُجْبِ وَالْفِرْعَنَةِ وَفَسَادِ الْقَلْبِ - مَا هُوَ سَبَبُ هَلَاكِهِ عَاجِلًا وَآجِلًا ، فَمِنْ رَحْمَةِ أَرْحَمِ الرَّاحِمِينَ أَنْ يَتَفَقَّدَهُ فِي الْأَحْيَانِ بِأَنْوَاعٍ مِنْ أَدْوِيَةِ الْمَصَائِبِ تَكُونُ حِمِيَّةً لَهُ مِنْ هَذِهِ الْأَدْوَاءِ ، وَحِفْظًا لِصِحَّةِ عُبودِيَّتِهِ ، وَاسْتِفْرَاحًا لِلْمَوَادِّ الْفَاسِدَةِ الرَّدِيئَةِ الْمُهْلِكَةِ مِنْهُ ، فَسُبْحَانَ مَنْ يَرْحَمُ بِبَلَائِهِ وَيَبْتَلِي بِنِعْمَائِهِ .

( زاد المعاد )

٢- الحديث دليل على جواز البكاء على الميت من غير نياحة ، وقد جاءت أدلة كثيرة على الجواز :

أ- حديث الباب ( فَأَقْعَدُهُ فِي حِجْرِهِ وَنَفْسُهُ تَقَعَّقُ ، فَقَاضَتْ عَيْنَاهُ ) .

ب- وبكى لما ماتت ابنته : كما في حديث أنس قال ( شهدت بنتاً للرسول ﷺ تدفن ، ورسول الله ﷺ جالس عند القبر ،

فرأيت عينيه تدمعان ) رواه البخاري .

ج- وبكى لما زار سعد بن عباد : كما في حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ قَالَ ( اشْتَكَيْ سَعْدُ بْنُ عَبَادَةَ شَكْوَى لَهُ فَأَتَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَعُودُهُ مَعَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ وَسَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ وَجَدَهُ فِي غَشِيَةٍ فَقَالَ « أَقَدْ قَضَى » قَالُوا لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ . فَبَكَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَلَمَّا رَأَى الْقَوْمَ بُكَاءَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بَكَوْا فَقَالَ « أَلَا تَسْمَعُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يُعَذِّبُ بِدَمْعِ الْعَيْنِ وَلَا بِخُزْنِ الْقَلْبِ وَلَكِنْ يُعَذِّبُ بِهَذَا - وَأَشَارَ إِلَى لِسَانِهِ - أَوْ يَرْحَمُ ) متفق عليه .

د- وبكى لما مات ابنه إبراهيم : كما في حديث أنس قال ( دخلنا مع النبي ﷺ على ابنه إبراهيم وهو يجود بنفسه ، فجعلت عينا رسول الله تذران ، فقال له عبد الرحمن بن عوف وأنت يا رسول الله ! فقال : يا ابن عوف ، إنها رحمة ، ثم أتبعها بأخرى ، فقال : إن العين تدمع ، والقلب يحزن ، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا ، وإنا بفراقك يا إبراهيم لحزونون ) رواه البخاري .

هـ- ومنها : بكاءه ﷺ لما نعى جعفر وأصحابه . متفق عليه .

بل ذهب شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله إلى استحباب البكاء على الميت إذا كان رحمة له .

**قال رحمه الله :** ... لكن البكاء على الميت على وجه الرحمة حسن مستحب ، وذلك لا ينافي الرضا بخلاف البكاء عليه لفوات حظ فيه ، وبهذا يعرف معنى قول النبي ﷺ لما بكى على الميت وقال ( هَذِهِ رَحْمَةٌ جَعَلَهَا اللَّهُ فِي قُلُوبِ عِبَادِهِ وَإِنَّمَا يَرْحَمُ اللَّهُ مَنْ عِبَادِهِ الرَّحِمَاءُ ) فإن هذا ليس كبكاء من يبكي لحظه لا لرحمة الميت .

٣- الحديث دليل على استحباب التعزية بقول (إِنَّ لِلَّهِ مَا أَخَذَ وَلَهُ مَا أُعْطِيَ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِأَجَلٍ مُّسَمًّى فَمُرَّهَا فَلْتَصْبِرْ وَلْتَحْتَسِبْ ) .

**قال النووي :** وهذا الحديث أحسن ما يعزى به .

**ومنها :** ( اتقي الله واصبري ) متفق عليه .

**ومنها :** ( اللهم اغفر لأبي سلمة وارفع درجته في المهديين وأخلفه في عقبه في الغابرين ، واغفر لنا وله يا رب العالمين ، وأفسح له في قبره ونور له فيه ) رواه مسلم .

وإن قال : عظم الله أجركم ، أو أحسن الله مصابكم ، فكله جائز .

١- مشروعية استحضار أهل الفضل والصلاح عند المحتضر ليدعو له .

٢- مشروعية إبرار المقسم .

٣- تقديم السلام على الكلام .

٤- الترغيب في الشفقة على خلق الله والرحمة بهم .

٥- أن الجزء من جنس العمل .

وهذه قاعدة جلييلة عظيمة ، أدلتها من الكتاب والسنة كثيرة :

قال تعالى ( إِنَّ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ ) .

وقال تعالى ( فَادْكُرُونِي أذكُرْكُمْ ) .

وقال تعالى ( أَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ ) .

وقال ﷺ ( من ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة ) رواه مسلم .

وقال ﷺ ( من بنى لله مسجداً بنى الله له بيتاً في الجنة ) رواه مسلم .

وقال ﷺ ( احفظ الله يحفظك ) .

وقال ﷺ ( والشاة إن رحمتها رحمتك الله ) رواه أحمد .

وقال ﷺ ( إنما يرحم الله من عباده الرحماء ) متفق عليه .

وقال ﷺ ( من وصل صفاً وصله الله ) رواه أبو داود .

وقال ﷺ ( ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء ) رواه أبو داود .

وقال ﷺ ( من كان له وجهان في الدنيا ، كان له لسانان من نار يوم القيامة ) رواه أبو داود .

٣٠- وعن صهيب رضي الله عنه : أن رسول الله ﷺ ، قال : « كَانَ مَلِكٌ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ وَكَانَ لَهُ سَاحِرٌ فَلَمَّا كَبِرَ قَالَ لِلْمَلِكِ : إِنِّي قَدْ كَبِرْتُ فَأَبْعَثْ إِلَيَّ غُلَامًا أَعْلِمُهُ السِّحْرَ ؛ فَبَعَثَ إِلَيْهِ غُلَامًا يَعْلَمُهُ ، وَكَانَ فِي طَرِيقِهِ إِذَا سَلَكَ رَاهِبٌ ، فَقَعَدَ إِلَيْهِ وَسَمِعَ كَلَامَهُ فَأَعْجَبَهُ ، وَكَانَ إِذَا أَتَى السَّاحِرَ ، مَرَّ بِالرَّاهِبِ وَقَعَدَ إِلَيْهِ ، فَإِذَا أَتَى السَّاحِرَ ضَرَبَهُ ، فَشَكَا ذَلِكَ إِلَى الرَّاهِبِ ، فَقَالَ : إِذَا خَشِيتَ السَّاحِرَ ، فَقُلْ : حَبَسَنِي أَهْلِي ، وَإِذَا خَشِيتَ أَهْلَكَ ، فَقُلْ : حَبَسَنِي السَّاحِرُ .

فَبَيْنَمَا هُوَ عَلَى ذَلِكَ إِذْ أَتَى عَلَى دَابَّةٍ عَظِيمَةٍ قَدْ حَبَسَتِ النَّاسَ ، فَقَالَ : الْيَوْمَ أَعْلَمُ السَّاحِرَ أَفْضَلُ أَمْ الرَّاهِبُ أَفْضَلُ ؟ فَأَخَذَ حَجْرًا ، فَقَالَ : اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ أَمْرُ الرَّاهِبِ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ أَمْرِ السَّاحِرِ فَاقْتُلْ هَذِهِ الدَّابَّةَ حَتَّى يَمْضِيَ النَّاسُ ، فَرَمَاهَا فَقَتَلَهَا وَمَضَى النَّاسُ ، فَأَتَى الرَّاهِبَ فَأَخْبَرَهُ . فَقَالَ لَهُ الرَّاهِبُ : أَيُّ بَنِي أَنْتَ الْيَوْمَ أَفْضَلُ مِنِّي قَدْ بَلَغَ مِنْ أَمْرِكَ مَا أَرَى ، وَإِنَّكَ سَتُبْتَلَى ، فَإِنْ ابْتُلِيتَ فَلَا تَدُلَّ عَلَيَّ ؛ وَكَانَ الْغُلَامُ يُبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ ، وَيُدَاوِي النَّاسَ مِنْ سَائِرِ الْأَدْوَاءِ . فَسَمِعَ جَلِيسٌ لِلْمَلِكِ كَانَ قَدْ عَمِيَ ، فَأَتَاهُ بِمَدَايَا كَثِيرَةٍ ، فَقَالَ : مَا هَذَا لَكَ أَجْمَعُ إِنْ أَنْتَ شَفَيْتَنِي ، فَقَالَ : إِنِّي لَا أَشْفِي أَحَدًا إِنَّمَا يَشْفِي اللَّهُ تَعَالَى ، فَإِنْ آمَنْتَ بِاللَّهِ تَعَالَى دَعَوْتُ اللَّهَ فَشَفَاكَ ، فَأَمَنْ بِاللَّهِ تَعَالَى فَشَفَاهُ اللَّهُ تَعَالَى ، فَأَتَى الْمَلِكَ فَجَلَسَ إِلَيْهِ كَمَا كَانَ يَجْلِسُ ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ : مَنْ رَدَّ عَلَيْكَ بَصْرَكَ ؟ قَالَ : رَبِّي ، قَالَ : وَلَكَ رَبٌّ غَيْرِي ؟ قَالَ : رَبِّي وَرَبُّكَ اللَّهُ ، فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّى دَلَّ عَلَى الْغُلَامِ ، فَجِئَ بِالْغُلَامِ ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ : أَيُّ بَنِي ، قَدْ بَلَغَ مِنْ سِحْرِكَ مَا تُبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ وَتَفْعَلُ وَتَفْعَلُ ! فَقَالَ : إِنِّي لَا أَشْفِي أَحَدًا ، إِنَّمَا يَشْفِي اللَّهُ تَعَالَى . فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّى دَلَّ عَلَى الرَّاهِبِ ؛ فَجِئَ بِالرَّاهِبِ فَقِيلَ لَهُ : ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ ، فَأَبَى ، فَدَعَا بِالْمِنْشَارِ فَوَضَعَ الْمِنْشَارَ فِي مَفْرَقِ رَأْسِهِ ، فَشَقَّهُ حَتَّى وَقَعَ شِقَاؤُهُ ، ثُمَّ جِئَ بِجَلِيسِ الْمَلِكِ فَقِيلَ لَهُ : ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ ، فَأَبَى ، فَوَضَعَ الْمِنْشَارَ فِي مَفْرَقِ رَأْسِهِ ، فَشَقَّهُ بِهِ حَتَّى وَقَعَ شِقَاؤُهُ ، ثُمَّ جِئَ بِالْغُلَامِ فَقِيلَ لَهُ : ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ ، فَأَبَى ، فَدَفَعَهُ إِلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ ، فَقَالَ : اذْهَبُوا بِهِ إِلَى جَبَلٍ كَذَا وَكَذَا فَاصْعَدُوا بِهِ الْجَبَلَ ، فَإِذَا بَلَغْتُمْ ذِرْوَتَهُ فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ وَإِلَّا فَاطْرَحُوهُ . فَذَهَبُوا بِهِ فَصَعَدُوا بِهِ الْجَبَلَ ، فَقَالَ : اللَّهُمَّ أَكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ ، فَرَجَفَ بِهِمُ الْجَبَلُ فَسَقَطُوا ، وَجَاءَ يَمْشِي إِلَى الْمَلِكِ ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ : مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ ؟ فَقَالَ : كَفَانِيَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى ، فَدَفَعَهُ إِلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فَقَالَ : اذْهَبُوا بِهِ فَاحْمِلُوهُ فِي قُرْقُورٍ وَتَوَسَّطُوا بِهِ الْبَحْرَ ، فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ وَإِلَّا فَاقْدِفُوهُ . فَذَهَبُوا بِهِ ، فَقَالَ : اللَّهُمَّ أَكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ ، فَاثْكَفَاتُ بِهِمُ السَّفِينَةُ فَعَرَفُوا ، وَجَاءَ يَمْشِي إِلَى الْمَلِكِ . فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ : مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ ؟ فَقَالَ : كَفَانِيَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى . فَقَالَ لِلْمَلِكِ : إِنَّكَ لَسْتَ بِقَاتِلِي حَتَّى تَفْعَلَ مَا أَمْرُكَ بِهِ . قَالَ : مَا هُوَ ؟ قَالَ : تَجْمَعُ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ وَتَصْلُبُنِي عَلَى جَذَعٍ ، ثُمَّ خُذْ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِي ، ثُمَّ ضَعِ السَّهْمَ فِي كَبِدِ الْقَوْسِ ثُمَّ قُلْ : بِسْمِ اللَّهِ رَبِّ الْغُلَامِ ، ثُمَّ ارْمِنِي ، فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ قَتَلْتَنِي ، فَجَمَعَ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ ، وَصَلَبَهُ عَلَى جَذَعٍ ، ثُمَّ أَخَذَ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِهِ ، ثُمَّ وَضَعَ السَّهْمَ فِي كَبِدِ الْقَوْسِ ، ثُمَّ قَالَ : بِسْمِ اللَّهِ رَبِّ الْغُلَامِ ، ثُمَّ رَمَاهُ فَوَقَعَ فِي صُدْغِهِ ، فَوَضَعَ يَدَهُ فِي صُدْغِهِ فَمَاتَ ، فَقَالَ النَّاسُ : آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ ، فَأَتَى الْمَلِكُ فَقِيلَ لَهُ : أَرَأَيْتَ مَا كُنْتَ تَحْذَرُ قَدْ وَاللَّهِ نَزَلَ بِكَ حَذْرُكَ . قَدْ آمَنَ النَّاسُ . فَأَمَرَ بِالْأَخْذِ بِأَفْوَاهِ السِّكِّ فَخُذْتُ وَأُضْرِمَ فِيهَا النَّيْرَانُ وَقَالَ : مَنْ لَمْ يَرْجِعْ عَنْ دِينِهِ فَأَقْحَمُوهُ فِيهَا ، أَوْ قِيلَ لَهُ : اقْتَحِمْ فَفَعَلُوا حَتَّى جَاءَتْ امْرَأَةٌ وَمَعَهَا صَبِيٌّ لَهَا ، فَتَقَاعَسَتْ أَنْ تَقَعَ فِيهَا ، فَقَالَ لَهَا الْغُلَامُ : يَا أُمُّهُ اصْبِرِي فَإِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ !» رواه مسلم .

( ذِرْوَةُ الْجَبَلِ ) أَعْلَاهُ ، وَهِيَ - بِكَسْرِ الدَّالِ الْمُعْجَمَةِ وَضَمِّهَا - وَ ( الْقُرْقُورُ ) بَضْمُ الْقَافَيْنِ نَوْعٌ مِنَ الشُّفْنِ وَ ( الصَّعِيدُ ) هُنَا : الْأَرْضُ الْبَارِزَةُ وَ ( الْأَخْذُودُ ) الشُّقُوقُ فِي الْأَرْضِ كَالنَّهْرِ الصَّغِيرِ ، وَ ( أُضْرِمَ ) : أَوْقَدَ ، وَ ( اِثْكَفَاتُ ) أَي : اِنْقَلَبَتْ ، وَ ( تَقَاعَسَتْ ) : تَوَقَّفَتْ وَجَبَتْ .

( رَاهِب ) هو المتعبد من النصارى .

( حَبَسَنِي ) أي : منعني أهلي .

( الأُكْمَة ) من ولد أعمى .

( فِي صُدْغِهِ ) بضم الصاد وسكون الدال ، وهو ما بين العين إلى شحمة أذنه .

١- الحديث دليل على شدة عداوة الكفار للمؤمنين، والسعي في صدهم عن دينهم، فإن الناس لما آمنوا فتنهم الكفار حتى يرجعوا عن دينهم.

كما قال تعالى ( وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا ) .

وقال تعالى ( وَودُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ ) .

وقال تعالى ( وَكَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنفُسِهِمْ ) .

٢- الحديث دليل على عزة المؤمنين، وثباتهم على دينهم، وصبرهم على الابتلاء، وقد أثنى الله عليهم، وخلد ذكرهم في سورة البروج.

٣- الحديث دليل على خطر دعاة الضلالة على الناس، وسعيهم في نشر الفساد بينهم، كما تجلّى ذلك في حرص الساحر على بقاء علمه، مع ما في السحر من المحادة لأمر الله تعالى، والشر والضرر على الناس.

٤- رحمة الله تعالى بعباده، حيث هيا للغلام ذلك الراهب المؤمن، الذي كان على الدين الصحيح في ذلك الوقت - دين عيسى عليه السلام غير المحرف - فتعلم من الدين الحق، وسلم من فتنة الساحر وغوايته.

٥- لزوم توجيه الناس إلى خالقهم، وأن يغرس في نفوسهم أن النفع والضرر هو بيد الله تعالى وحده دون من سواه، فلا يجوز أن تتعلق القلوب بغيره، ولذا لما سأل جليس الملك الأعمى الغلام أن يشفيه، قال الغلام: ( إِنِّي لَا أَشْفِي أَحَدًا إِنَّمَا يَشْفِي اللَّهُ، فَإِنْ أَنْتَ آمَنْتَ بِاللَّهِ دَعَوْتُ اللَّهَ فَشَفَاكَ )، فَأَمَّنَ بِاللَّهِ فَشَفَاهُ اللَّهُ.

٦- جواز الكذب في الحرب ونحوها، وفي إنقاذ النفس من الهلاك، سواء نفسه أو نفس غيره ممن له حرمة.

٧- أن الغلام أمر بقتل نفسه لأجل مصلحة ظهور الدين، ولهذا جاز الأئمة الأربعة أن يغمس المسلم في صف الكفار وإن غلب على ظنه أنهم يقتلونه إذا كان في ذلك مصلحة للمسلمين .

٨- تواضع العالم لتلميذه، وثناؤه عليه إذا استحق ذلك، ولكن بالقدر المناسب الذي يحفز على النشاط في أمره، ولا يوقعه في الاغترار بما هو عليه .

٩- اقتضت سنة الله تعالى في عباده أن يتليهم ويمتحنهم لتمييز الصادق من الكاذب، والمؤمن من المنافق .

قال الله تعالى ( أَلَمْ أَحْسِبِ النَّاسَ أَنْ يُزَكُّوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ \* وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ) .

وقال تعالى ( أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسْتَهْزِئِينَ الْبَاسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَرُبُلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرَ اللَّهُ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ) .

١٠- صدق الالتجاء إلى الله تعالى، بدعائه، والثقة بالإجابة، وذلك عندما قال الغلام ( اللهم اكفنيهم بما شئت ) فاستجاب الله له، ونجاه منهم .

١١- الإصرار على الدعوة، والحرص على إظهار الحق، وتبليغه للناس، ومقاومة الباطل.

١٢- أن الحق ينتصر ويعلو، ويعتقه الناس إذا اجتهد الداعون إليه في بيانه، وضحو في سبيله .

١٣- أن من صور النصر العظيمة انتصار الإيمان، بالثبات عليه، والموت في سبيله؛ لأن العاقبة هي الفوز برضاء الله تعالى وجنته.  
١٤- تثبيت الله تعالى للمؤمنين، كما جرى للمرأة التي أرادت أن ترجع فأنطق الله تعالى صبيها، وقال: اصبري يا أماء، فإنك على الحق .

١٥- عدم المساومة على قضية الإيمان، ولو كان الثمن هو النفس والنفيس، فالراهب وجليس الملك لم يرجعا عن دينهما ولو شق كل واحد منهما إلى شقين .

١٦- إثبات كرامة الأولياء، وهي الخوارق التي يؤيد الله تعالى بها عباده الصالحين المتمسكين بالحق.

١٧- الشدائد والحن تصقل الإنسان ، فيعرف بها شديد الإيمان .

١٨- الابتلاء سنة ربانية لا تتخلف أبدا .

١٩- ينبغي للعبد أن لا يعرض نفسه للابتلاء والحن، فالراهب طلب منه ألا يدل عليه، فلما ابتلي صبر حتى نشر بالمنشار.

٢٠- إثبات الكرامة للأولياء ، وليست بلازمة لكل ولي .

٢١- الموقعة بين المؤمنين وأعدائهم أساسها حرب عقيدة .

٢٢- إثبات انتشار الدعوة إلى الله تعالى على الحياة الدنيا .

٢٣- على الدعاة أن يعملوا على خدمة الناس ومساعدتهم ، فقد كان الهدف من قتل الدابة حل مشكلة الناس .

٢٤- الشجاعة : الوصول إلى المراد وإن قُتلت .

٣١- وعن أنس رضي الله عنه ، قَالَ : مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ بِامْرَأَةٍ تَبْكِي عِنْدَ قَبْرِ ، فَقَالَ : « اتَّقِي اللَّهَ وَاصْبِرِي » فَقَالَتْ : إِلَيْكَ عَنِّي ؛ فَإِنَّكَ لَمْ تُصَبِّ بِمُصِيبَتِي وَلَمْ تَعْرِفْهُ ، فَقِيلَ لَهَا : إِنَّهُ النَّبِيُّ ﷺ فَأَتَتْ بَابَ النَّبِيِّ ﷺ ، فَلَمْ تَجِدْ عِنْدَهُ بَوَّابِينَ ، فَقَالَتْ : لَمْ أَعْرِفْكَ ، فَقَالَ : « إِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الْأُولَى » مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .  
وفي رواية لمسلم : « تبكي على صبيِّ لَهَا » .

( مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ بِامْرَأَةٍ ) لا يعرف اسمها .

( تَبْكِي عِنْدَ قَبْرِ ) في رواية ( على صبي لها ) أي : لأجل موت ولدها الصغير .

( فَقَالَ : اتَّقِي اللَّهَ ) كأن في بكائها قدر زائد من نوح أو غيره .

( فَقَالَتْ ) جاهلة بمن يخاطبها .

( فَقِيلَ لَهَا ) وفي رواية ( فلما ذهب قيل لها ) .

( إِنَّهُ النَّبِيُّ ﷺ ) وفي رواية مسلم ( فأخذها مثل الموت ) خجلاً منه ﷺ ومهابة .

( فَأَتَتْ بَابَ النَّبِيِّ ﷺ ) للاعتذار .

( إِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الْأُولَى ) أي : الصبر الكامل .

١- الحديث دليل على وجوب الصبر على أقدار الله المؤلمة ، وأن ذلك من التقوى .

وقد تقدم تعريف الصبر : هو حبس النفس عن التسخط بالمقدور ، وحبس اللسان عن الشكوى ، وحبس الجوارح عن المعصية ، كاللطم ، وشق الثياب ، وشف الشعر ونحو ذلك .

قال شيخ الإسلام : والصبر واجب باتفاق العلماء .

وقال ابن القيم : والصبر واجب بإجماع الأمة، وهو نصف الإيمان، فإن الإيمان نصفان: نصف صبر، ونصف شكر .  
٢- الإنسان تجاه المصيبة له أحوال :

الأول : الصبر .

وهذا واجب .

الثاني : الرضا .

وهو أعلى من الصبر ، وهو أن يكون الأمران عنده سواء .

وهذا مستحب لا واجب على القول الصحيح .

الثالث : الشكر .

وهو أعلى المراتب ، وهو أن يشكر الله على ما أصابه من مصيبة .

الرابع : التسخط .

وهو إما أن يكون بالقلب ، كأن يسخط على ربه ويغضب على ما قدر الله له ، وقد يكون باللسان ، كالدعاء بالويل والثبور .  
قال ابن القيم : والمصائب التي تحل بالعبد، وليس له حيلة في دفعها، كموت من يعزُّ عليه، وسرقة ماله، ومرضه، ونحو ذلك، فإن للعبد فيها أربع مقامات:

أحدها : مقام العجز، وهو مقام الجزع والشكوى والسخط، وهذا ما لا يفعله إلا أقل الناس عقلاً ودينياً ومروءة.

المقام الثاني: مقام الصبر إما لله ، وإما للمروءة الإنسانية.

المقام الثالث : مقام الرضى وهو أعلى من مقام الصبر، وفي وجوبه نزاع، والصبر متفق على وجوبه.

المقام الرابع : مقام الشكر، وهو أعلى من مقام الرضى؛ فإنه يشهد البلية نعمة، فيشكر المبتلي عليها .

٣- الحديث دليل على أن أكمل الصبر وأفضله عند الصدمة الأولى .

قال الحافظ ابن حجر عند قوله ﷺ ( إنما الصبر عند الصدمة الأولى ) .

المعنى إذا وقع الثبات أول شيء يهجم على القلب من مقتضيات الجزع فذلك هو الصبر الكامل الذي يترتب عليه الأجر .  
قال الخطابي : المعنى أن الصبر الذي يحمد عليه صاحبه ما كان عند مفاجأة المصيبة ، بخلاف ما بعد ذلك فإنه مع الأيام يسلو .

وقال ابن القيم : قوله ﷺ ( الصبر عند الصدمة الأولى ) مثل قوله ﷺ ( ليس الشديد بالصرعة وإنما الشديد الذي يملك نفسه وقت الغضب ) فإن مفاجئات المصيبة بغتة لها روعة تزعزع القلب وتزعجه بصدمة لها ، فإن صبر الصدمة الأولى انكسر حدها وضعفت قوتها ، فهان عليه استدامة الصبر ، وأيضاً فإن المصيبة ترد على القلب وهو غير موطن لها فتزعجه وهى الصدمة الأولى ، وأما إذا وردت عليه بعد ذلك توطن لها وعلم أنه لا بد له منها فيصير صبره شبيه الاضطراب ، وهذه المرأة لما علمت أن جزعها لا يجدي عليها شيئاً ، جاءت تعتذر إلى النبي ﷺ كأنها تقول له قد صبرت ، فأخبرها أن الصبر إنما هو عند الصدمة الأولى .

٣- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإن سكر المصيبة وشدتها لا يسقطه عن الأمر الناهي .

٤- تكرار الأمر والنهي مرة بعد مرة حتى يعذر المرء إلى ربه .

٥- في الحديث الاعتذار إلى أهل الفضل إذا أساء الإنسان أدبه معهم .

٦- وفيه ما كان عليه النبي ﷺ من التواضع .

٧- وأنه ينبغي للإمام والقاضي إذا لم يحتج إلى بواب أن لا يتخذه .

٨- استدل بالحديث على جواز زيارة النساء للقبور ، وقد اختلف العلماء في هذه المسألة .

**القول الأول : أنها حرام .**

وهذا اختيار ابن تيمية وتلميذه ابن القيم .

أ- لحديث أبي هريرة ( أن رسول الله ﷺ لعن زوارات القبور ) رواه الترمذي .

ب- ولحديث ابن عباس قال ( لعن رسول الله ﷺ زائرات القبور ) رواه الترمذي .

ج- ولحديث حسان بن ثابت قال ( لعن رسول الله ﷺ زوارات القبور ) رواه ابن ماجه .

د- وعن عبد الله بن عمرو قال (بينما نحن نسير مع رسول الله ﷺ إذ بصر بامرأة لا نظن أنه عرفها، فلما توسط الطريق وقف

حتى انتهت إليه، فإذا فاطمة بنت رسول الله ﷺ قال لها: ما أخرجكِ من بيتكِ يا فاطمة ؟ قالت: أتيت أهل هذا البيت فترحمت

إليهم وعزيتهم بميتهم ، فقال: لعلك بلغت معهم الكدى؟ قالت: معاذ الله أن أكون بلغتها وقد سمعتك تذكر في ذلك ما تذكر؟

فقال: لو بلغتها معهم ما رأيت الجنة حتى يراها جد أبيك) رواه أبو داود، والكدى: هي القبور هكذا فسرّها بعض الرواة.

وهذا الحديث يدل دلالة صريحة على أن المرأة لا يجوز لها أن تخرج إلى القبور، وقد كان ذلك مستقراً عند الصحابة، يدل عليه

قول فاطمة: معاذ الله أن أكون بلغتها وقد سمعتك تذكر في ذلك ما تذكر، تعني من النهي عن ذلك.

**القول الثاني : إباحة زيارة النساء للقبور .**

وهذا مذهب الجمهور .

**قال النووي :** بالجواز قطع الجمهور .

أ- لحديث أنس قال : ( أتى النبي ﷺ على امرأة تبكي عند قبر ، فقال لها : اتقي الله واصبري ... ) .

**قال الحافظ :** وموضع الدلالة من الحديث أنه ﷺ لم ينكر على المرأة قعودها عند القبر ، وتقديره حجة .

ب- ولحديث بريدة السابق ( كنت نهيتمكم عن زيارة القبور فزوروها ) .

**وجه الدلالة :** أن الخطاب عام ، فيدخل فيه النساء .

**قال الحافظ :** هو قول الأكثر ، ومحلّه إذا أمنت الفتنة .

ج- وحديث عائشة الطويل، وفيه (قالت : كيف أقول لهم يا رسول الله؟ قال: قولي: السلام على أهل الديار من المؤمنين ...) .

رواه مسلم

**قالوا :** وتعليم النبي ﷺ لعائشة هذا الدعاء يدل على جواز زيارة المقابر للنساء .

**القول الثالث : أنه مكروه .**

وهذا مذهب الحنابلة .

لحديث أم عطية : ( نهينا عن اتباع الجنائز ولم يعزم علينا ) .

**قالوا :** والزيارة من جنس الاتباع ، فيكون كلاهما مكروهاً غير محرم .

**والراجع القول الأول .**

**وأما الإجابة عن أدلة من قال بالإباحة :**

أما حديث أنس أن النبي ﷺ مرّ بامرأة تبكي عند قبر فقال : ( اتقي الله واصبري ... ) فيجيب عنه :

أن النبي ﷺ لم يقرّ المرأة على فعلها ، بل أمرها بتقوى الله التي هي فعل ما أمر به وترك ما نهي عنه ، ومن جملتها النهي عن زيارة القبور ، ففي هذا إنكار قعودها عند القبر ، وإذا جاء الاحتمال بطل الاستدلال .

**قال ابن القيم :** احتج به على جواز زيارة النساء للقبور ، فإنه ﷺ لم ينكر عليها الزيارة وإنما أمرها بالصبر ، ولو كانت حراماً لبيّن لها حكمها ، وأجيب عن هذا بأنه ﷺ قد أمرها بتقوى الله والصبر ، وهذا إنكار منه لحالها من الزيارة والبكاء .  
أن هذه القضية لا يعلم هل كانت قبل أحاديث المنع من زيارة النساء للقبور أو لا ؟ وهي إما أن تكون دالة على الجواز فلا دلالة على تأخيرها عن أحاديث المنع ، أو تكون دالة على المنع بأمرها بتقوى الله فلا دلالة فيها ، وعلى الجواز على التقديرين لا تعارض أحاديث المنع ، ولا يمكن دعوى نسخها بها .

أما قول النبي ﷺ : ( كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها ) **فيجيب عنه :**

أنه خطاب للرجال دون النساء ، فإن اللفظ لفظ مذكر وهو مختص بالذكر بأصل الوضع فلا يدخل فيه النساء ، وهذا هو المذهب الصحيح المختار في الأصول .

**وعلى هذا فالإذن لا يتناول النساء فلا يدخلن في الحكم الناسخ .**

أن الخطاب إن كان متناولاً للنساء بطريق التبع والتغليب ، **فإن للعلماء في ذلك قولين :**

**قيل :** إن ذلك يحتاج إلى دليل منفصل ، وحينئذٍ فيحتاج تناول ذلك للنساء إلى دليل منفصل ، وقيل : إنه يحمل على ذلك عند الإطلاق ، وعلى هذا فيكون دخول النساء بطريق العموم ضعيف ، والعام لا يعارض الأدلة الخاصة المستفيضة في نهي النساء عن زيارة القبور ، بل ولا ينسخها عند جمهور العلماء ، حتى ولو علم تأخر العام وتقدم الخاص ، فكيف إذا لم يعرف أن هذا العام بعد الخاص إذ قد يكون نهي النساء عن زيارة القبور بعد الإذن للرجال في زيارة القبور ، بل هذا هو الأقرب .

أما حديث عائشة : ( قولي : السلام على أهل الديار ... ) **فيجيب عنه :**

● بأن الحديث لا دلالة فيه على جواز زيارة القبور للنساء ، لأن الحديث إنما سيق لتعليم السلام على أهل القبور دون إباحة الزيارة للنساء ، وقد تمر المرأة على أهل القبور في مسير لها من غير قصد الزيارة فتحتاج إلى التسليم عليهم ، فلا يلزم من تعليمه لمن إباحة الزيارة قصداً .

● أن هذا التعليم من النبي ﷺ لعائشة يحتمل أن يكون قبل النهي الأكيد والوعيد الشديد لزوّارات القبور .

**بما أجاب بعض العلماء ( القائلون بعدم التحريم ) عن حديث ( لعن زائرات القبور ) ؟**

أن اللعن إنما هو للمكثرات من الزيارة بدلالة قوله ( زائرات ) ، وهذا لا يتناول الزائرة من غير إكثار للزيارة .

قال القرطبي : هذا اللعن إنما هو للمكثرات من الزيارة لما تقتضيه الصفة من المبالغة ، ولعل السبب ما يفضي إليه ذلك من تضييع حق الزوج والتبرج ، وما ينشأ منهن من الصباح ونحو ذلك .

**وقال الشوكاني بعد سياق كلام القرطبي :** وهذا الكلام هو الذي ينبغي اعتماده في الجمع بين أحاديث الباب المتعارضة في الظاهر .

**لكن يجاب عن هذا :**

**أولاً :** أنه قد ورد في حديث ابن عباس لفظ ( زائرات ) ، وفي هذا اللفظ زيادة علم ، حيث إنه يصدق على الزائرة مرة واحدة فيؤخذ به .

**ثانياً :** أن لفظ ( الزائرات ) قد يكون لتعدد منهن ، كما يقال : فتحت الأبواب ، إذا لكل باب فتح يخصه .

**وأجابوا أيضاً :**

أن هذه الأحاديث التي فيها لعن زوارات القبور محمولة على ما إذا كانت زيارتهن لتجديد الحزن والتعديد والبكاء والنوح ، وأما إذا كانت الزيارة للاعتبار من غير نوح ولا تعديد فلا يحرم عليهن ذلك .

**لكن يجاب عن هذا :**

**أولاً :** أن هذا التأويل أو الحمل للحديث لا دليل عليه .

**ثانياً :** أن زيارة النساء إذا كانت مظنة وسبباً للأمر المحرمة - والحكمة هنا غير مضبوطة - فإنه لا يمكن أن يحد المقدار الذي يفضي إلى ذلك ، ولا التمييز بين نوع ونوع ، ومن أصول الشريعة ، أن الحكمة إذا كانت خفية ، أو غير منتشرة ، علق الحكم بمظنتها فيحرم هذا الباب سداً للذريعة .

**وأجابوا أيضاً :** بأن هذه الأحاديث ضعيفة الإسناد .

**ويجاب عن هذا :**

**أولاً :** أن كل من تكلم فيه من رجال الإسناد قد عدله طائفة من العلماء ، وإذا كان الجرح والمعدل من الأئمة ، لم يقبل الجرح إلا مفسراً ، فيكون التعديل مقدماً على الجرح المطلق .

**ثانياً :** أن حديث مثل هؤلاء يدخل في الحسن الذي يخرج به جمهور العلماء فإذا صححه من صححه كالتزمذي وغيره ولم يكن فيه من الجرح إلا ما ذكر كان أقل أحواله أن يكون من الحسن .

**ثالثاً :** أن يقال قد روي من وجهين مختلفين: أحدهما عن ابن عباس والآخر عن أبي هريرة ورجال هذا ليس رجال هذا فلم يأخذه أحدهما عن الآخر وليس في الإسنادين من يثبتهم بالكذب وإنما التضعيف من جهة سوء الحفظ ومثل هذا حجة بلا ريب .

**٣٢- وعن أبي هريرة ؓ :** أن رسول الله ﷺ ، قال : « يقول الله تعالى : ما لعبدي المؤمن عندي جزاء إذا قبضت صفيه من أهل الدنيا ثم احتسبه إلا الجنة » رواه البخاري .

( يقول الله تعالى ) هذا يسمى عند العلماء حديث قدسي .

( إذا قبضت صفيه ) هو الحبيب المصافي كالولد والأخ وكل من يحبه الإنسان ، والمراد بالقبض قبض روحه وهو الموت .

( ثم احتسبه ) أي : صبر على فقد راجياً الأجر من الله على ذلك ، والاحتساب طلب الأجر من الله خالصاً .

١- الحديث دليل على فضل من صبر واحتسب على فقد من يحبه .

٢- الحديث دليل على فضل الصبر وأن جزاءه دخول الجنة .

٣- لو تأملنا في الأحاديث السابقة لوجدنا التركيز على قضية مهمة وهي قضية الاحتساب في الصبر ، وذلك لأن يقين الإنسان

بحسن الجزاء ، وعظم الأجر عند الله ، يخفف مرارة المصيبة على النفس ، ويهون وقعها على القلب ، وكلما قوي اليقين

ضعف الإحساس بالمصيبة ، حتى تتحول لدى النفس من المكارة إلى المحاب .

وقد جاء عن عمر رضي الله عنه قوله : ما أصبت ببلاء إلا كان الله عليّ فيه أربع نعم : أنه لم يكن في ديني ، وأنه لم يكن أكبر

منه ، وأني لم أحرم الرضا به ، وأني أرجو الثواب عليه .

فجعل انتظار الثواب على البلاء من أسباب تخفيفه ، ونقله من دائرة المصائب التي توجب الصبر إلى دائرة النعم التي تستحق الشكر .

وكان نبينا ﷺ يسأل الله اليقين الذي تهن معه المصائب ، فقلما كان يقوم من مجلس إلا ويدعو هؤلاء الدعوات (اللهم اقسم لنا

من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معاصيك، ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك، ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا) .

وإذا كانت مقادير الله نافذة على العبد رضي أم سخط ، صبر أم جزع ، فإن العاقل ينبغي أن يصبر ويحتسب ويرضى بقضاء الله حتى لا يحرم الأجر والمثوبة ، وإلا جرى عليه المقدور وهو كاره .

قال علي عليه السلام : إنك إن صبرت إيماناً واحتساباً ، وإلا سلوت سلو البهائم .

وعزى رجلاً في ابن له مات ، فقال : يا أبا فلان إنك إن صبرت نفدت فيك المقادير ، ولك الأجر ، وإن جزعت نفدت فيك المقادير ، وعليك الوزر .

٣٣- وعن عائشة رضي الله عنها: أَمَّا سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنِ الطَّاعُونَ، فَأَخْبَرَهَا أَنَّهُ كَانَ عَذَابًا يَبْعَثُهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى مَنْ يَشَاءُ ، فَجَعَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى رَحْمَةً لِلْمُؤْمِنِينَ ، فَلَيْسَ مِنْ عَبْدٍ يَقَعُ فِي الطَّاعُونَ فَيَمُوتُ فِي بَلَدِهِ صَابِرًا مُحْتَسِبًا يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا يَصِيْبُهُ إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَهُ إِلَّا كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ الشَّهِيدِ . رواه البخاري .

( الطَّاعُونَ ) قيل : إنه وباء معين ، وقيل : إنه وباء عام يحل بالأرض فيصيب أهلها ويموت الناس منه مثل الكوليرا .

١- الحديث دليل على فضل الصبر والاحتساب لمن يقع في الطاعون ، وأنه يكون شهيداً إذا مات .

وقد جاء في الحديث :

عن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ (الشُّهَدَاءُ خَمْسَةٌ : الْمَطْعُونُ وَالْمَبْطُونُ، وَالْعَرِيقُ، وَصَاحِبُ الْهَدْمِ، وَالشَّهِيدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ) متفقٌ عَلَيْهِ .

وعنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ( مَا تَعْدُونَ الشُّهَدَاءَ فِيكُمْ ؟ ) قالوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَنْ قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَهُوَ شَهِيدٌ . قَالَ : إِنَّ شَهِدَاءَ أُمَّتِي إِذَا لَقِيتُ « ! قالوا: فَمَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : « مَنْ قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَهُوَ شَهِيدٌ ، وَمَنْ مَاتَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَهُوَ شَهِيدٌ ، وَمَنْ مَاتَ فِي الطَّاعُونِ فَهُوَ شَهِيدٌ ، وَمَنْ مَاتَ فِي الْبَطْنِ فَهُوَ شَهِيدٌ ، وَالْعَرِيقُ شَهِيدٌ » رواه مسلم . وعن أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ . قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ( الطَّاعُونُ شَهَادَةٌ لِكُلِّ مُسْلِمٍ ) رواه مسلم .

قال النووي : المطعون هو الذي يموت في الطاعون ، والمبطون هو صاحب داء البطن ، وصاحب الهدم من يموت تحته ( أي تحت الهدم والأنقاض ) ، ومن مات في سبيل الله معناه بأي صفة مات ، قال العلماء : وإنما كانت هذه المواتات شهادة بتفضل الله تعالى بسبب شدتها وكثرة ألمها ، قال العلماء : المراد بشهادة هؤلاء كلهم غير المقتول في سبيل الله أنهم يكون لهم في الآخرة ثواب الشهداء وأما في الدنيا فيغسلون ويصلى عليهم .

قال النووي : اعلم أن الشهيد ثلاثة أقسام :

أحدها : المقتول في حرب الكفار بسبب من أسباب القتال .

فهذا له حكم الشهداء في ثواب الآخرة وفي أحكام الدنيا ، وهو أنه لا يغسل ولا يصلى عليه .

والثاني : شهيد في الثواب دون أحكام الدنيا .

وهو المبطون والمطعون وصاحب الهدم ومن قتل دون ماله وغيرهم ممن جاءت الأحاديث الصحيحة بتسميته شهيداً فهذا يغسل ويصلى عليه وله في الآخرة ثواب الشهداء ولا يلزم أن يكون مثل ثواب الأول .

والثالث : من غل في الغنيمة وشبهه ممن وردت الآثار بنفي تسميته شهيداً إذا قتل في حرب الكفار فهذا له حكم الشهداء في الدنيا فلا يغسل ولا يصلى عليه وليس له ثوابهم الكامل في الآخرة .

وقال في المجموع: والدليل للقسم الثاني أن عمر وعثمان وعلياً رضي الله عنهم غسلوا وصلى عليهم بالاتفاق واتفقوا على أنهم شهداء. والله أعلم

٢- الحديث دليل على أن ينبغي لمن وقع الطاعون في بلده وهو فيه أن لا يخرج منها فراراً منه .

عن أُسَامَةَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ( الطَّاعُونُ رِجْزٌ أُرْسِلَ عَلَى طَائِفَةٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَعَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ فَإِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ بِأَرْضٍ فَلَا تَدْخُلُوا عَلَيْهِ وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا فَلَا تَخْرُجُوا مِنْهَا فِرَارًا مِنْهُ ) متفق عليه .

وعن عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ . قال : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ ( إِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ بِأَرْضٍ فَلَا تَقْدُمُوا عَلَيْهِ وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا فَلَا تَخْرُجُوا فِرَارًا مِنْهُ ) متفق عليه .

قال ابن القيم: وَقَدْ جَمَعَ النَّبِيُّ ﷺ لِلأُمَّةِ فِي نَهْيِهِ عَنِ الدَّخُولِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي هُوَ بِهَا وَنَهْيِهِ عَنِ الْخُرُوجِ مِنْهَا بَعْدَ وَقُوعِهِ كَمَالِ التَّحَرُّزِ مِنْهُ فَإِنَّ فِي الدَّخُولِ فِي الْأَرْضِ الَّتِي هُوَ بِهَا تَعَرُّضًا لِلْبَلَاءِ وَمُؤَافَاةً لَهُ فِي تَحَلٍّ سُلْطَانِيٍّ وَإِعَانَةً لِلْإِنْسَانِ عَلَى نَفْسِهِ وَهَذَا مُخَالَفٌ لِلشَّرْعِ وَالْعَقْلِ بَلْ تَجَنُّبُ الدَّخُولِ إِلَى أَرْضِهِ مِنْ بَابِ الْحُمِيَّةِ الَّتِي أَرْشَدَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ إِلَيْهَا وَهِيَ حِمِيَّةٌ عَنِ الْأَمْنِيَّةِ وَالْأَهْوِيَّةِ الْمُؤْذِيَةِ .

وَأَمَّا نَهْيُهُ عَنِ الْخُرُوجِ مِنْ بَلَدِهِ فَفِيهِ مَعْنَانِ :

أَحَدُهُمَا : حَمْلُ التَّقْوَى عَلَى التَّقِيَّةِ بِاللَّهِ وَالتَّوَكُّلِ عَلَيْهِ وَالصَّبْرِ عَلَى أَقْضِيَّتِهِ وَالرَّضَى بِهَا .

وَالثَّانِي : مَا قَالَهُ أَئِمَّةُ الطَّبِّ : أَنَّهُ يَجِبُ عَلَى كُلِّ مُحْتَزٍّ مِنَ الْوَبَاءِ أَنْ يُخْرِجَ الرِّيَاضَةَ وَالْحُمَامَ فَإِنَّهُمَا مِمَّا يَجِبُ أَنْ يُخْذَرَا ، لِأَنَّ الْبَدَنَ لَا يَخْلُو غَالِيًا مِنْ فَضْلِ رَدِيٍّ كَامِنٍ فِيهِ فَتُثِيرُهُ الرِّيَاضَةُ وَالْحُمَامُ وَيَخْلُطَانِهِ بِالْكِمُوسِ الْجَدِيدِ وَذَلِكَ يَجْلِبُ عَلَيْهِ عَظِيمَةٌ بَلْ يَجِبُ عِنْدَ وَقُوعِ الطَّاعُونِ السَّكُونُ وَالِدَعَةُ وَتَسْكِينُ هَيْجَانِ الْأَخْلَاطِ وَلَا يُمْكِنُ الْخُرُوجُ مِنْ أَرْضِ الْوَبَاءِ وَالسَّفَرُ مِنْهَا إِلَّا بِحَرَكَةٍ شَدِيدَةٍ وَهِيَ مُضِرَّةٌ جَدًّا هَذَا كَلَامُ أَفْضَلِ الْأَطِبَّاءِ الْمُتَأَخَّرِينَ فَظَهَرَ الْمَعْنَى الطَّبِّيُّ مِنَ الْحَدِيثِ النَّبَوِيِّ وَمَا فِيهِ مِنْ عِلَاجِ الْقَلْبِ وَالْبَدَنِ وَصَلَاحِهِمَا .

فَإِنْ قِيلَ : فَفِي قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ لَا تَخْرُجُوا فِرَارًا مِنْهُ مَا يُبْطِلُ أَنْ يَكُونَ أَرَادَ هَذَا الْمَعْنَى الَّذِي ذَكَرْتُمُوهُ وَأَنَّهُ لَا يَمْنَعُ الْخُرُوجَ لِعَارِضٍ وَلَا يُجْبَسُ مُسَافِرًا عَنْ سَفَرِهِ ؟

قِيلَ : لَمْ يَثُلْ أَحَدٌ طَبِيبٌ وَلَا غَيْرُهُ إِنَّ النَّاسَ يَتَرَكُونَ حَرَكَاتِهِمْ عِنْدَ الطَّوَاعِينِ وَيَصِيرُونَ بِمَنْزِلَةِ الْجَمَادَاتِ وَإِنَّمَا يَنْبَغِي فِيهِ التَّقَلُّلُ مِنَ الْحَرَكَةِ بِحَسَبِ الْإِمْكَانِ وَالْفَارَ مِنْهُ لَا مُوجِبَ لِحَرَكَتِهِ إِلَّا مُجَرَّدُ الْفِرَارِ مِنْهُ وَدَعَتُهُ وَسُكُونُهُ أَنْفَعُ لِقَلْبِهِ وَبَدَنِهِ وَأَقْرَبُ إِلَى تَوَكُّلِهِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى وَاسْتِسْلَامِهِ لِقَضَائِهِ ، وَأَمَّا مَنْ لَا يَسْتَعْنِي عَنِ الْحَرَكَةِ كَالصَّنَاعِ وَالْأَجْرَاءِ وَالْمُسَافِرِينَ وَالْبُرْدِ وَغَيْرِهِمْ فَلَا يُقَالُ لَهُمْ أَنْتَزَكُوا حَرَكَاتِكُمْ جُمْلَةً وَإِنْ أَمَرُوا أَنْ يَتْرَكُوا مِنْهَا مَا لَا حَاجَةَ لَهُمْ إِلَيْهِ كَحَرَكَةِ الْمُسَافِرِ فَارًّا مِنْهُ .

● وقال النووي : وَفِي هَذِهِ الْأَحَادِيثِ مَنَعُ الْقُدُومِ عَلَى بَلَدِ الطَّاعُونِ ، وَمَنَعُ الْخُرُوجِ مِنْهُ فِرَارًا مِنْ ذَلِكَ . أَمَّا الْخُرُوجُ لِعَارِضٍ فَلَا بَأْسَ بِهِ ، وَهَذَا الَّذِي ذَكَرْنَاهُ هُوَ مَذْهَبُنَا وَمَذْهَبُ الْجُمْهُورِ . قَالَ الْقَاضِي : هُوَ قَوْلُ الْأَكْثَرِينَ . قَالَ : حَتَّى قَالَتْ عَائِشَةُ : الْفِرَارُ مِنْهُ كَالْفِرَارِ مِنَ الرَّحْفِ . قَالَ : وَمِنْهُمْ مَنْ جَوَزَ الْقُدُومَ عَلَيْهِ وَالْخُرُوجَ مِنْهُ فِرَارًا . قَالَ : وَرُويَ هَذَا عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَأَنَّهُ نَدِمَ عَلَى رُجُوعِهِ مِنْ سَرِغَ .

وَعَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ وَمُسْرُوقٍ وَالْأَسْوَدِ بْنِ هِلَالٍ أَنَّهُمْ قَرُّوا مِنَ الطَّاعُونِ ، وَقَالَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ : فَرُّوا عَنْ هَذَا الرَّجْزِ فِي الشَّعَابِ وَالْأَوْدِيَةِ وَرُءُوسِ الْجِبَالِ ، فَقَالَ مَعَاذُ : بَلْ هُوَ شَهَادَةٌ وَرَحْمَةٌ . وَيَتَأَوَّلُ هَؤُلَاءِ النَّهْيَ عَلَى أَنَّهُ لَمْ يَنْهَ عَنِ الدَّخُولِ عَلَيْهِ وَالْخُرُوجِ مِنْهُ مَخَافَةً أَنْ يُصِيبَهُ غَيْرُ الْمُقَدَّرِ ، لَكِنْ مَخَافَةَ الْفِتْنَةِ عَلَى النَّاسِ ، لِأَنَّ يَطُتُّوا أَنَّ هَلَكَ الْقَادِمُ إِنَّمَا حَصَلَ بِقُدُومِهِ ، وَسَلَامَةُ الْفَارِّ إِنَّمَا كَانَتْ بِفِرَارِهِ . قَالُوا : وَهُوَ مِنْ نَحْوِ النَّهْيِ عَنِ الطَّيِّرَةِ وَالْقُرْبِ مِنَ الْمَجْذُومِ ، وَقَدْ جَاءَ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ : الطَّاعُونُ فِتْنَةٌ عَلَى الْمُقِيمِ وَالْفَارِّ ، أَمَّا الْفَارُّ فَيَقُولُ : فَرَرْتُ فَتَجَوَّتْ ، وَأَمَّا الْمُقِيمُ فَيَقُولُ : أَقَمْتُ فَمُتَّ ، وَإِنَّمَا فَرَّ مَنْ لَمْ يَأْتِ

أجله ، وَأَقَامَ مَنْ حَضَرَ أَجَلَهُ وَالصَّحِيحُ مَا قَدَّمَاهُ مِنَ النَّهْيِ عَنِ الْقُدُومِ عَلَيْهِ وَالْفِرَارِ مِنْهُ لِظَاهِرِ الْأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ . قَالَ الْعُلَمَاءُ : وَهُوَ قَرِيبُ الْمَعْنَى مِنْ قَوْلِهِ ﷺ : ( لَا تَتَمَنَّاوْا لِقَاءَ الْعَدُوِّ ، وَاسْأَلُوا اللَّهَ الْعَافِيَةَ ، فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاصْبِرُوا )

٣- هَذِهِ الْأَحَادِيثُ أَنَّ الطَّاعُونَ أُرْسِلَ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَوْ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ عَذَابًا لَهُمْ . هَذَا الْوَصْفُ وَبِكَوْنِهِ عَذَابًا مُحْتَصٍّ بِمَنْ كَانَ قَبْلَنَا ، وَأَمَّا هَذِهِ الْأُمَّةُ فَهِيَ هَا رَحْمَةً وَشَهَادَةً ، فِيهِ الصَّحِيحَيْنِ قَوْلُهُ ﷺ ( الْمُطْعُونَ شَهِيدٌ ) .

وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ فِي غَيْرِ الصَّحِيحَيْنِ ( أَنَّ الطَّاعُونَ كَانُوا عَذَابًا يَبْعَثُهُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ ، فَجَعَلَهُ رَحْمَةً لِلْمُؤْمِنِينَ ، فَلَيْسَ مِنْ عَبْدٍ يَقَعُ الطَّاعُونَ فَيَمُوتُ فِي بَلَدِهِ صَابِرًا يَعْلَمُ أَنَّهُ لَنْ يُصِيبَهُ إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَهُ إِلَّا كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ شَهِيدٍ ) وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ ( الطَّاعُونَ شَهَادَةٌ لِكُلِّ مُسْلِمٍ ) . ( النووي ) .

٤- الحديث دليل على أن الطاعون يكون شهادة لمن صبر واحتسب .

٥- وفي هذا الحديث الاختراز من المكاره وأسبابها .

٦- وفيه التسليم لقضاء الله عند حلول الآفات .

٧- وأنفقوا على جواز الخروج بشغلٍ وعرض غير الفِرَار . ( النووي )

٨- تقرير أن البلاء يكون عذاباً للمجرمين، ورحمة بالمؤمنين.

٩- أنه لا يجوز الخروج من البلد المطعون، ولا دخوله، وهذه معجزة من معجزات الإسلام، وهو ما يسمى الآن بـ ( الحجر الصحي )، الذي علّمه الله رسوله ﷺ قبل أن يعرفه الناس بأربعة عشر قرناً تقريباً.

٣٤- وعن أنس رضي الله عنه ، قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، يَقُولُ : « إِنَّ اللَّهَ ﷻ ، قَالَ : إِذَا ابْتَلَيْتُ عَبْدِي بِحَبِيبَتِيهِ فَصَبَرَ عَوِضَتْهُ مِنْهُمَا الْجَنَّةُ » يريد عينيه ، رواه البخاري .

( بِحَبِيبَتِيهِ ) فسرهُ بآخر الحديث ( يريد عينيه ) ، والمراد بالحبيبتين المحبوتان ، لأنها أحب أعضاء الإنسان إليه ، لما يحصل له بفقدتهما من الأسف على فوات رؤية ما يريد رؤيته من خير فيسر به ، أو شر فيجتنبه ( فَصَبَرَ ) زاد الترمذي ( واحتسب ) .

( عَوِضَتْهُ مِنْهُمَا الْجَنَّةُ ) وهذا أعظم العوض ، لأن الالتذاذ بالبصر يفنى بفناء الدنيا والالتذاذ بالجنة باق ببقائها .

١- الحديث دليل على فضل من ذهب بصره واصر واحتسب ، وأنه ذلك سبب في دخوله الجنة.

وقد جاء عند البزار عن زيد بن أرقم بلفظ ( ما ابتلي عبد بعد ذهاب دينه أشد من ذهاب بصره ، ومن ابتلي ببصره فصبر حتى يلقي الله لقي الله لا حساب عليه ) وأصله عند أحمد بغير لفظه بسند جيد

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : ( المصائب التي تجري بلا اختيار العبد ، كالمرض وموت العزيز عليه ، وأخذ ماله ، فإن تلك إنما يثاب على الصبر عليها ، لا على نفس ما يحدث من المصيبة وما يتولد عنها )

٢- الحديث دليل على فضل الصبر وأنه من أسباب دخول الجنة .

قال تعالى ( وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ) .

وقال تعالى ( أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ) .

وقال تعالى ( أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا نَحِيَّةً وَسَلَامًا ) .

وقال تعالى ( إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا إِنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ ) .

٣٥- وعن عطاء بن أبي رباح ، قَالَ : قَالَ لي ابنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما : أَلَا أُرِيكَ امْرَأَةً مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ ؟ فَقُلْتُ : بَلَى ، قَالَ : هَذِهِ الْمَرْأَةُ السَّودَاءُ أَتَتْ النَّبِيَّ ﷺ ، فَقَالَتْ : إِنِّي أُصْرَعُ ، وَإِنِّي أَتَكَشَّفُ ، فَادْعُ اللَّهَ تَعَالَى لِي . قَالَ : « إِنَّ شَيْئَ صَبَرْتَ وَلَكَ الْجَنَّةُ ، وَإِنْ شَيْئَ دَعَوْتَ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يُعَافِيكَ » فَقَالَتْ : أَصْبِرُ ، فَقَالَتْ : إِنِّي أَتَكَشَّفُ فَادْعُ اللَّهَ أَنْ لَا أَتَكَشَّفُ ، فَدَعَا لَهَا . مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

( عطاء بن أبي رباح ) القرشي مولاهم المكي ، ثقة فقيه فاضل ، مات سنة ١١٤ هـ .

( أَتَكَشَّفُ ) من التكشف ، والمراد أنها خشيت أن تظهر عورتها وهي لا تشعر .

١- الحديث دليل على أن الصبر على بلايا الدنيا يورث الجنة .

٢- الحديث دليل على أن الأخذ بالشدة أفضل من الأخذ بالرخصة لمن علم من نفسه الطاقة .

٣- أن هذه المرأة من المبشرات بالجنة .

٤- الحديث دليل على فضل الصبر على البلاء .

٥- إثارة الصحابييات للآخرة على الدنيا .

٦- أن الآخرة خير وأبقى .

٧- الزهد في الدنيا ، وأنه ينبغي أن تكون مزرعة للآخرة .

٨- قرب النبي صلى الله عليه وسلم من الناس واهتمامه بشؤونهم ، وحرصه على ما فيه المنفعة لهم .

استدل بحديث الباب من قال أن ترك التداعي أفضل ، وقد اختلف العلماء في ذلك على أقوال :

**القول الأول:** تركه أفضل .

وهو المنصوص عليه في مذهب الحنابلة، ونقل عن الإمام أحمد أنه قال: ( أحب لمن اعتقد التوكل وسلك هذا الطريق ترك التداعي من شرب الدواء وغيره ) ، وقد كانت تكون به علة فلا يخبر الطبيب بها إذا سأل .

أ- عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ قال في السبعين الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب ... هُمْ الَّذِينَ لَا يَسْتَرْقُونَ ، وَلَا يَتَطَيَّرُونَ ، وَلَا يَكْتُمُونَ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ . فَقَالَ : عُكَّاشَةُ بِنْتُ مُحْصَنٍ أَمِنْهُمْ أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ : نَعَمْ . فَقَامَ آخِرُ فَقَالَ : أَمِنْهُمْ أَنَا قَالَ : سَبَقَكَ عُكَّاشَةُ ) .

ب- ولحديث الباب .

أما حديث الصحيحين ( يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعُونَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ هُمُ الَّذِينَ لَا يَسْتَرْقُونَ وَلَا يَتَطَيَّرُونَ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ) رواه البخاري ومسلم ، ففيه : استحباب ترك الاسترقاء أي طلب الرقية من الغير ، وليس فيه تعرض لحكم التداعي بالأدوية النافعة .

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله : ولا يدخل في ذلك من عرض نفسه على الطبيب للدواء ؛ لأن النبي ﷺ لم يقل : لا يتداوون ؛ بل قال : ( لا يكتون ولا يسترقون ) اللهم إلا أن يعلق الإنسان قلبه بالطبيب ، ويكون رجاءه وخوفه من المرض متعلقا بالطبيب ، فهذا ينقص توكله على الله عز وجل ، فينبغي للإنسان إذا ذهب إلى الأطباء أن يعتقد أن هذا من باب بذل الأسباب ، وأن المسبب هو الله سبحانه وتعالى وحده ، وأنه هو الذي بيده الشفاء ، حتى لا ينقص توكله .

وأما حديث المرأة التي كانت تصرع وتتكشف ، ولفظه : عن عطاء بن أبي رباح قال : قال لي ابن عباس : ( ألا أريك امرأة من أهل الجنة قلت بلى ، قال : هذه المرأة السوداء ؛ أتت النبي ﷺ فقالت : إني أضرب وإني أتكشف ، فادع الله لي . قال : إن شئت صبرت ولك الجنة ، وإن شئت دعوت الله أن يعافيك !! فقالت : أصبر . فقالت : إني أتكشف ، فادع الله لي أن لا أتكشف ؛ فدعا لها ) .

فهذا الحديث يدل على جواز ترك التداعي في مثل هذه الحال ، لمن قويت عزيمته وقدر على ذلك .

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله : " وفي الحديث فضل من يصرع ، وأن الصبر على بلايا الدنيا يورث الجنة ، وأن الأخذ بالشدّة أفضل من الأخذ بالرخصة ، لمن علم من نفسه الطاقه ولم يضعف عن التزام الشدّة .

● وذكر الغزالي في إحياء علوم الدين أسبابا دعت بعض الصحابة والتابعين وتابعيهم على ترك التداعي، منها:

١- أن يكون المريض قد علم بقرائن الأحوال أن مرضه مرض الموت، وأن الدواء بالتالي لا ينفعه، وهو ما حدث لأبي بكر الصديق رضي الله عنه .

٢- أن يكون مشغولا بمآله وخوف عاقبته حتى ينسيه ألم المرض. (مثل ما نقل عن أبي ذر الغفاري).

٣- العلة مزمنة ويغلب على الظن عدم نفع الدواء. قال الغزالي: "وأكثر من ترك التداعي من العباد والزهاد هذا مستندهم".

٤- لينال ثواب الصبر على البلاء، وهو يطيقه وتكفير الذنوب لمن أسرف على نفسه.

٥- لمن يعرف في نفسه الأشر والبطر ونسيان النعمة عند الصحة وحلول العافية، فإذا جاء المرض عرف ربه والتجأ إليه، فيترك التداعي حتى لا تعاوده الغفلة

٣٦- وعن أبي عبد الرحمن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، قال : كَانِي أَنْظُرُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَحْكِي نَبِيًّا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ ، صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ ، ضَرَبَهُ قَوْمُهُ فَأَذَمُوهُ ، وَهُوَ يَمْسَحُ الدَّمَ عَنْ وَجْهِهِ ، يَقُولُ : « اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي ، فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ » مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

(عبد الله بن مسعود) بن غافل بن حبيب الهذلي ، كان سادس رجل في الإسلام، وهاجر الهجرتين ، وشهد بدرًا وما بعدها، مات بالمدينة سنة ( ٣٢ ) هـ .

( يَحْكِي نَبِيًّا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ ) قال الحافظ : لم أقف على اسم هذا النبي صريحاً ، ويحتمل أن يكون هو نوح .

٣- الحديث دليل على أن الأنبياء لا قوا من الأذى القولي والفعلي من أقوامهم .

فَمِنْ اسْتَهْزَاءِ قَوْمِ نُوحٍ قَوْلُهُمْ لَهُ ( بَعْدَ أَنْ كُنْتَ نَبِيًّا صِرْتَ نَجَّارًا ) .

وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ نُوحٍ ( إِنَّ تَسْحَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْحَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْحَرُونَ ) .

وَذَكَرَ مَا حَاقَ بِهِمْ بِقَوْلِهِ ( فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ) ، وَأَمْثَلَهَا مِنَ الْآيَاتِ .

وَمِنْ اسْتَهْزَاءِ قَوْمِ هُودٍ مَا ذَكَرَهُ اللَّهُ عَنْهُمْ مِنْ قَوْلِهِمْ ( إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ ) .

وَقَوْلِهِ عَنْهُمْ أَيْضًا ( قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ الْآيَةِ ) .

وَذَكَرَ مَا حَاقَ بِهِمْ مِنَ الْعَذَابِ فِي قَوْلِهِ ( أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ .. ) ، وَأَمْثَلَهَا مِنَ الْآيَاتِ .

وَمِنْ اسْتَهْزَائِهِمْ بِصَالِحٍ قَوْلُهُمْ فِيمَا ذَكَرَ اللَّهُ عَنْهُمْ ( يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ) .

وَقَوْلُهُمْ ( يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا ... ) وَذَكَرَ مَا حَاقَ بِهِمْ بِقَوْلِهِ ( وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِيَيْنِ ) وَنَحْوَهَا مِنَ الْآيَاتِ .

وَمِنْ اسْتَهْزَائِهِمْ بِلُوطٍ قَوْلُهُمْ فِيمَا حَكَى اللَّهُ عَنْهُمْ ( فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ ... ) وَقَوْلُهُمْ لَهُ أَيْضًا ( لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا لُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ ) وَذَكَرَ مَا حَاقَ بِهِمْ بِقَوْلِهِ ( فَجَعَلْنَا عَلَیْهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ ) وَنَحْوَهَا مِنَ الْآيَاتِ .

وَمِنْ اسْتَهْزَائِهِمْ بِشُعَيْبٍ قَوْلُهُمْ فِيمَا حَكَى اللَّهُ عَنْهُمْ ( قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بَعِزٌّ ) وَذَكَرَ مَا حَاقَ بِهِمْ بِقَوْلِهِ ( فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ) وَنَحْوَهَا مِنَ الْآيَاتِ .

قال تعالى (كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجْنُونٌ . أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ) .

وقال تعالى لرسوله ﷺ ( وَلَقَدْ اسْتَهْزَأُ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ )

٢- الحديث دليل على صبر الأنبياء على أقوامهم

٣- تسليية للدعاء .

٤- من أخلاق الأنبياء مقابلة الجهل بالغفران .

٣٧- وعن أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله عنهما ، عن النبي ﷺ ، قَالَ : « مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ مِنْ نَصَبٍ ، وَلَا وَصَبٍ ، وَلَا هَمٍّ ، وَلَا حَزَنٍ ، وَلَا أَذًى ، وَلَا غَمٍّ ، حَتَّى الشَّوْكَةُ يُشَاكُّهَا إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ » مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

٣٨- وعن ابن مسعود ؓ ، قَالَ : دَخَلْتُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ يُوعَكُ ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّكَ تُوعَكُ وَعَكًا شَدِيدًا ، قَالَ : « أَجَلٌ ، إِنِّي أُوْعَكُ كَمَا يُوعَكُ رَجُلَانِ مِنْكُمْ » قُلْتُ : ذَلِكَ أَنْ لَكَ أَجْرَيْنِ ؟ قَالَ : « أَجَلٌ ، ذَلِكَ كَذَلِكَ ، مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُصِيبُهُ أَذًى ، شَوْكَةٌ فَمَا فَوْقَهَا إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا سَيِّئَاتِهِ ، وَخَطَّتْ عَنْهُ ذُنُوبُهُ كَمَا تَحُطُّ الشَّجَرَةُ وَرَقُهَا » مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

٣٩- وعن أبي هريرة ؓ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « مَا يَزَالُ الْبَلَاءُ بِالْمُؤْمِنِ وَالْمُؤْمِنَةِ فِي نَفْسِهِ وَوَلَدِهِ وَمَالِهِ حَتَّى يَلْقَى اللَّهَ تَعَالَى وَمَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ » رواه الترمذي ، وَقَالَ : « حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ » .

٤٠- وعن أبي هريرة ؓ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُصَبِّ مِنْهُ » رواه البخاري .

وَضَبَطُوا « يُصَبِّ » بَفَتْحِ الصَّادِ وَكَسْرِهَا .

( الْوَصَبُ ) الْوَجَعُ اللَّازِمُ ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى : { وَهُمْ عَذَابٌ وَأَصِيبٌ } أَيْ لَا زِمَ ثَابِتٌ . وَ ( النَّصَبُ ) التَّعَبُ .

( نَصَبٌ ) النَّصَبُ : التَّعَبُ .

( وَلَا وَصَبٌ ) الْوَصَبُ : الْمَرَضُ .

١- الأحاديث دليل على أن المصائب والبلاء تكفر السيئات والخطيئات .

قال ابن رجب : في فوائد البلاء :

تذكير العبد بذنوبه فربما تاب ورجع .

زوال قسوة القلوب وحدوث رقتها .

انكساره لله وذله وذلك أحب إلى الله من كثير من طاعات الطائعين.

أنها توجب للعبد الرجوع بقلبه إلى الله والوقوف ببابه والتضرع له والاستكانة.

أن البلاء يقطع قلب المؤمن عن الالتفات إلى المخلوق

أن البلاء يوصل إلى قلبه لذة الصبر عليه أو الرضا به.

**قال بعض السلف :** إن العبد ليُمرَضَ فيذكر ذنوبه فيخرج منه مثل رأس الذباب من خشية الله فيغفر له .

**وقال بعض العلماء :** في بعض الكتب السابقة إن الله ليبتلّي العبد وهو يحبه ليسمع تضرعه . [ ٨ / ١٠ / ١٤٣٢ هـ ] .

● **وقال القاسمي :** وللإمام عز الدين محمد بن عبد السلام ، رحمه الله تعالى ، كلام على فوائد المحن والرزايا يحسن إيراده هنا .

قال عليه الرحمة : للمصائب والبلايا والمحن والرزايا فوائد تختلف باختلاف رتب الناس :

**أحدها :** معرفة عز الربوبية وقهرها .

**والثاني :** معرفة ذلة العبودية وكسرها ، وإليه الإشارة بقوله تعالى ( الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ) ،

اعترفوا بأنهم ملكه وعبيده ، وأنهم راجعون إلى حكمه وتديره وقضائه وتقديره لا مفر لهم منه ولا محيد لهم عنه .

**والثالثة :** الإخلاص لله تعالى ؛ إذ لا مرجع في رفع الشدائد إلا إليه ، ولا معتمد في كشفها إلا عليه ( وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا

كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ ) ( فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِّ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ) .

**الرابعة :** الإنابة إلى الله تعالى والإقبال عليه ( وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ) .

**الخامسة :** التضرع والدعاء ( وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَا ) ( وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَهُهُ ) ( بَلْ إِلَهُهُ

تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ) .

**السادسة :** الصبر عليها ، وهو موجب لمحبة الله تعالى وكثرة ثوابه .

قال تعالى ( وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ) وقال ( إِنَّمَا يُوفِي الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ) .

**السابعة :** تمحيصها للذنوب والخطايا .

قال تعالى ( وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ ) .

**الثامنة :** معرفة نعمة العافية والشكر عليها .

فإن النعم لا تعرف أقدارها إلا بعد فقدانها .

**التاسعة :** ما أعده الله تعالى على هذه الفوائد من ثواب الآخرة على اختلاف مراتبها .

**العاشرة :** ما في طيها من الفوائد الخفية .

قال تعالى ( فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ) .

وقال تعالى ( وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ ) .

وقال تعالى ( إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ ) .

ولما أخذ الجبار سارة من إبراهيم كان في طي تلك البلية أن أخدمها هاجر . فولدت إسماعيل لإبراهيم عليهما الصلاة والسلام ،

فكان من ذرية إسماعيل خاتم النبيين ، فأعظم بذلك من خبر كان في طي تلك البلية .

**الحادية عشرة :** إن المصائب والشدائد تمنع من الأشر والبطر والفخر والخيلاء والتكبر والتعجب .

فإن نمرو ، لو كان فقيراً سقيماً ، فاقد السمع والبصر ، لما حاج إبراهيم في ربه ، لكن حمله بطرُ الملك على ذلك ، وقد علل الله

سبحانه وتعالى مُحاجته بإتيانه الملك ، ولو ابتلى فرعون بمثل ذلك لما قال ( أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ) وقال تعالى ( وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ

أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ ) وقال تعالى ( إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَطِئٌ . أَنْ رَأَاهُ اسْتَغْنَى ) وقال تعالى ( وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ ) .

وقال تعالى ( وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ) .

**الثانية عشرة :** الرضا الموجب لرضوان الله تعالى ، فإن المصائب تنزل بالبَرِّ والفاجر ، فمن سخطها فله السخط وخسران الدنيا والآخرة ، ومن رضيها فله الرضا والرضا أفضل من الجنة وما فيها ؛ لقوله تعالى ( وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ) أي : من جنات عدن ومساكنها الطيبة .

٢- الأحاديث دليل على أن المصائب تكفر السيئات ، لكن هل ترفع الدرجات ؟

**قال النووي :** قوله ﷺ ( مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُشَاك شَوْكَةً فَمَا فَوْقَهَا إِلَّا كُتِبَتْ لَهُ بِهَا دَرَجَةٌ ، وَنُحِيتَ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةٌ )

وَفِي بَعْضِ النُّسخ ( وَحُطَّ عَنْهُ بِهَا ) وَفِي رِوَايَةٍ ( إِلَّا كَتَبَ اللَّهُ بِهَا حَسَنَةً ، أَوْ حُطَّ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةٌ ) فِي هَذِهِ الْأَحَادِيثِ بِشَارَةَ عَظِيمَةِ لِلْمُسْلِمِينَ ، فَإِنَّهُ قَلَمًا يَنْفَكُ الْوَاحِدُ مِنْهُمْ سَاعَةً مِنْ شَيْءٍ مِنْ هَذِهِ الْأُمُور . وَفِيهِ تَكْفِيرُ الْخَطَايَا بِالْأَمْرَاضِ وَالْأَسْقَامِ وَمَصَائِبِ الدُّنْيَا وَهُمُومِهَا ، إِنْ قَلَّتْ مَشَقَّتُهَا . وَفِيهِ رَفْعُ الدَّرَجَاتِ بِهَذِهِ الْأُمُور ، وَزِيَادَةُ الْحَسَنَاتِ ، وَهَذَا هُوَ الصَّحِيحُ الَّذِي عَلَيْهِ جَمَاهِيرُ الْعُلَمَاءِ . وَحَكَى الْقَاضِي عَنْ بَعْضِهِمْ أَنَّ تَكْفِيرَ الْخَطَايَا فَقَطْ ، وَلَا تَرْفَعُ دَرَجَةً ، وَلَا تُكْتَبُ حَسَنَةً . قَالَ : وَزُيِّنَ نَحْوُهُ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ : الْوَجَعُ لَا يُكْتَبُ بِهِ أَجْرٌ ، لَكِنْ تُكْفَرُ بِهِ الْخَطَايَا فَقَطْ ، وَاعْتَمَدَ عَلَى الْأَحَادِيثِ الَّتِي فِيهَا تَكْفِيرُ الْخَطَايَا ، وَلَمْ تَبْلُغْهُ الْأَحَادِيثُ الَّتِي ذَكَرَهَا مُسْلِمٌ الْمُصَرِّحَةَ بِرَفْعِ الدَّرَجَاتِ ، وَكُتِبَ الْحَسَنَاتِ .

-قال بعض العلماء أن المصائب على العبد المذنب هي . بمجرد ها . عقوبات ، تكفر السيئات ولا ترفع الدرجات ولا يُثاب عليها ؛ لأن الثواب ورفعة الدرجة إنما تكون على الأعمال والطاعات لا على فعل الرب تعالى المجرد ، فإن صبر واحتسب : أُجِرَ على فعله ، الذي هو الصبر والاحتساب ، أو الرضا بقضاء الله وقدره إن ترقى إلى ذلك ؛ لا على مجرد مصيبته التي أصابته - إلا أن تكون المصيبة بسبب طاعة كما سيأتي - ، وهذا قول أجله من الصحابة كأبي عبيدة وابن مسعود رضي الله عنهما ، وأجله من العلماء المحققين كابن تيمية وابن القيم رحمهما الله .

**قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - :** والدلائل على أن المصائب كفارات : كثيرة ، إذا صبر عليها : أثيب على صبره ، فالثواب والجزاء إنما يكون على العمل وهو الصبر ، وأما نفس المصيبة : فهي من فعل الله لا من فعل العبد ، وهي من جزاء الله للعبد على ذنبه وتكفيره ذنبه بها ، وفي المسند ( أنهم دخلوا على أبي عبيدة بن الجراح وهو مريض ، فذكروا أنه يؤجر على مرضه ، فقال : " ما لي من الأجر ولا مثل هذه ، ولكن المصائب حِطَّةٌ ) فَبَيَّنَ لَهُمْ أَبُو عبيدة ﷺ أن نفس المرض لا يؤجر عليه ، بل يكفر به عن خطاياها .

**وقال ابن القيم - رحمه الله - :** وذكر عن أبي معمر الأزدي قال : كُنَّا إِذَا سَمِعْنَا مِنْ ابْنِ مَسْعُودٍ شَيْئاً نَكْرَهُهُ سَكَنَّا ، حَتَّى يَفْسِرَهُ لَنَا ، فَقَالَ لَنَا ذَاتَ يَوْمٍ : " أَلَا إِنَّ السَّقَمَ لَا يَكْتَبُ لَهُ أَجْرٌ ، فَسَاءَ ذَلِكَ وَكَبُرَ عَلَيْنَا " فَقَالَ : " وَلَكِنْ يَكْفِرُ بِهِ الْخَطِيئَةُ " ، فَسَرَّنَا ذَلِكَ وَأَعْجَبَنَا .

وهذا مِنْ كَمَالِ عِلْمِهِ وَفَقْهِهِ ﷺ ؛ فَإِنَّ الْأَجْرَ إِنَّمَا يَكُونُ عَلَى الْأَعْمَالِ الْاخْتِيَارِيَّةِ وَمَا تَوَلَّدَ مِنْهَا ، كَمَا ذَكَرَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ النَّوْعَيْنِ فِي آخِرِ سُورَةِ " التَّوْبَةِ " فِي قَوْلِهِ فِي الْمُبَاشَرِ مِنَ الْإِنْفَاقِ وَقَطْعِ الْوَادِي ( إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ ) وَفِي الْمَتَوْلَدِ مِنْ إِصَابَةِ الظُّمَأِ وَالنَّصَبِ وَالْمَخْمَصَةِ فِي سَبِيلِهِ وَغِيظِ الْكُفَّارِ ( إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ ) فَالثَّوَابُ مُرْتَبِطٌ بِهَذَيْنِ النَّوْعَيْنِ .

وأما الأسقام والمصائب: فإن ثوابها: تكفير الخطايا ولهذا قال تعالى (وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ) والنبي ﷺ إنما قال في المصائب (كُفِّرَ اللَّهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ) ، وكذا قوله (المرض حطة) فالطاعات ترفع الدرجات ، والمصائب تحط السيئات ، ولهذا قال (من يرد الله به خيراً يصب منه) وقال (من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين) فهذا يرفعه وهذا يحط خطاياه . (عدة الصابرين) .

٣- وهذه الذنوب التي تكفرها المصائب والأمراض التي تكون عقوبات : يحتمل أنها تكفر جميع الذنوب ، والجمهور على أنها تكفر الصغائر فحسب .

٤- وعن أنس رضي الله عنه ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : ( لَا يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدُكُمْ الْمَوْتَ لَضَرِّ أَصَابِهِ، فَإِنْ كَانَ لَا بُدَّ فاعِلاً ، فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ أَحْيِنِي مَا كَانَتْ الْحَيَاةُ خَيْرًا لِي، وَتَوَفَّنِي إِذَا كَانَتْ الْوَفَاةُ خَيْرًا لِي ) مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

-----

( لَا يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدُكُمْ ) الخطاب للصحابة ، والمراد هم ومن بعدهم من المسلمين عموماً .  
( لَضَرِّ يَنْزِلُ بِهِ ) من فقر أو مرض أو غير ذلك من الأضرار الدنيوية ، والمراد بالضرر الدنيوي لرواية ابن حبان : ( لا يتمنين أحدكم الموت لضر نزل به في الدنيا ) .

( فَإِنْ كَانَ لَا بُدَّ ) أي : لا محالة ولا مفر .

( اللَّهُمَّ أَحْيِنِي ) دعاء .

١- الحديث دليل على النهي عن تمني الموت .

لحديث الباب .

ولحديث خباب قال : (لولا أن النبي ﷺ نَحَانَا أَنْ نَدْعُو بِالْمَوْتِ لَدَعَوْتُ بِهِ) . رواه البخاري

٢- واختلف العلماء هل النهي عن تمني الموت نهي عام أم يجوز في أحوال ؟

اختلف العلماء في ذلك على قولين :

القول الأول : المنع مطلقاً .

وهذا قول القرطبي .

أ-لحديث الباب .

ب-ولحديث أبي هريرة . قال : قال رسول الله ﷺ (لا يتمنى أحدكم الموت، إما محسناً فلعله يزداد، وإما مسيئاً فلعله يستعتب) رواه البخاري .

ج-وعنه . قال : قال ﷺ ( لا يتمنى أحدكم الموت ، ولا يدعُ به من قبل أن يأتيه ، إنه إذا مات أحدكم انقطع عمله ، وإنه لا يزيد المؤمن عمره إلا خيراً ) رواه مسلم .

قال القرطبي : وأما حديث أبي هريرة ففيه النهي عن تمني الموت مطلقاً لضرٍ ولغير ضر .

القول الثاني : أنه لا يجوز لضر نزل به من فقر أو مرض ، وأما إذا خاف فتنة في دينه فإنه يجوز .

وهذا مذهب جماهير العلماء .

أ- أن النبي ﷺ أطلق - في حديث أبي هريرة - النهي عن تمني الموت ، وقيدته في حديث أنس ، بأن يكون تمنيه لضر نزل به ، فيحمل المطلق على المقيد .

ب- أن مطلق حديث أنس يشمل الضر الديني والأخروي ، لكن المراد إنما هو الضر الديني فقط ، بدليل رواية ابن حبان : ( ... لضر نزل به في الدنيا ) حيث قيد الضر كونه في الدنيا .

ج- أنه قد ورد عن النبي ﷺ ما يدل على جواز الدعاء بالموت عند خوف الفتن ، ففي الحديث أن النبي ﷺ قال ( ... وإذا أردت بعبادك فتنة فاقبضني إليك غير مفتون ) رواه أحمد .

وقال ﷺ ( والذي نفسي بيده لا تذهب الدنيا حتى يمر الرجل على القبر فيتمرغ عليه ويقول : يا ليتني كنت مكان صاحب هذا القبر ، وليس به الدين إلا البلاء ) رواه مسلم .

ف قوله ﷺ ( وليس به الدين ) يقتضي إباحة ذلك أن لو كان عن الدين .

قال ابن رجب : وأما تمني خوف فتنة في الدين ، فإنه يجوز بغير خلاف .

وقال في موضع آخر : هو جائز عند أكثر العلماء .

- وقد ورد عن السلف تمني الموت خوف الفتنة .

قال عمر ( اللهم كبرت سني ، وضعفت قوتي ، وانتشرت رعتي ، فاقبضني إليك غير مضيع ولا مفرط ) .

وتمنت زينب بنت جحش لما جاءها عطاء عمر فاستكثرت وقالت : اللهم لا يدركني عطاء لعمر بعدها ، فماتت قبل أن يدركها عطاء ثان لعمر .

وسأل عمر بن عبد العزيز من ظن به إجابة الدعاء أن يدعو له بالموت ، لما ثقلت عليه الرعية ، وخشي العجز عن القيام بحقوقهم . وطُلب كثير من السلف الصالح إلى بعض الولايات ، فدعوا لأنفسهم بالموت فماتوا .

واشتهر بعضهم واطلع على بعض عمل أحدهم أو معاملته مع الله فدعا لنفسه بالموت فمات .

وكان سفيان الثوري يتمني الموت كثيراً فسئل عن ذلك فقال : ما يدريني لعلني أدخل في بدعة ، لعلني أدخل فيما لا يحل لي ، لعلني أدخل في فتنة أكون قد مت فسبقت هذا .

وفي المسند عن محمود بن لبيد . عن النبي ﷺ قال ( اثنتان يكرههما ابن آدم : الموت ، والموت خير للمؤمن من الفتنة ، ويكره قلة المال ، وقلة المال أقل للحساب ) .

٣- الحكمة من تحريم تمني الإنسان الموت بسبب الضر الديني ، لأمر :

أولاً : أنه يدل على عدم الصبر ، والمسلم مطالب بالصبر والاحتساب .

ثانياً : أن بقاء المسلم قد يكون خيراً له .

ففي الحديث - وقد سبق - ( لا يتمنين أحدكم الموت ، إما محسناً فلعله أن يزداد خيراً ، وإما مسيئاً فلعله أن يستعذب ) أي يتوب ، وعند أحمد ( وأنه لا يزيد المؤمن عمره إلا خيراً ) .

قال الحافظ : فيه إشارة إلى أن المعنى في النهي عن تمني الموت والدعاء به هو انقطاع العمل بالموت ، فإن الحياة يتسبب منها العمل ، والعمل يحصل زيادة الثواب ، ولو لم يكن إلا استمرار التوحيد فهو أفضل الأعمال .

وقد قال ﷺ : ( إنه إذا مات أحدكم انقطع عمله ) .

ثالثاً : أن الإنسان لا يدري ما الأفضل له ، البقاء أم الموت .

٤- الحكمة من هذا الدعاء (اللهم أحييني ...) لمن كان داعياً بالموت، لأن في هذا الدعاء استسلام لقضاء الله، والمسلم يقول هذا الدعاء، لأنه لا يعلم هل الخير البقاء أم في الموت، فشرع قول هذا الدعاء لأن فيه رد ذلك إلى الله الذي يعلم عاقبة الأمور .

٥- فإن قال قائل : ما الجمع بين هذا الحديث ، وقول يوسف ( ربّ توفني مسلماً ... ) ؟

قال القرطبي : قيل : قال قتادة : لم يتمنى الموت أحد ، نبي ولا غيره، إلا يوسف حين تكالبت عليه النعم وجمع له الشمل، اشتاق إلى لقاء ربه .

وقيل : إن يوسف لم يتمن الموت وإنما تمنى الموافاة على الإسلام ، أي إذا جاء أجلي توفني مسلماً ، وهذا هو القول في تأويل الآية عند أهل التأويل .

٧- أنه لا يعلم الغيب إلا الله .

٨- في قوله ( اللهم أحييني ما كانت ... ) تفويض وتسليم للقضاء .

٩- أن الموت قد يكون خيراً للإنسان ، لقوله : ( ما كانت الوفاة خيراً لي ) .

١٠- ثبوت علم الله للمستقبل .

٤١- وعن أبي عبد الله خباب بن الارتؓ ، قَالَ : شَكُونَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ ، فَقُلْنَا : أَلَا تَسْتَنْصِرُ لَنَا أَلَا تَدْعُو لَنَا ؟ فَقَالَ : « قَدْ كَانَ مِنْ قَبْلِكُمْ يُؤْخَذُ الرَّجُلُ فَيُحْفَرُ لَهُ فِي الْأَرْضِ فَيُجْعَلُ فِيهَا ، ثُمَّ يُؤْتَى بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُجْعَلُ نَصْفَيْنِ ، وَيُمَشَّطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ حِمِّهِ وَعَظْمِهِ ، مَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ ، وَاللَّهُ لَيَتِمِّنَّ اللَّهُ هَذَا الْأَمْرَ حَتَّى يَسِيرَ الرَّكَّابُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ لَا يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ وَالذَّنْبَ عَلَى غَنَمِهِ ، وَلَكِنْ تَسْتَعْجِلُونَ » رواه البخاري .

وفي رواية : « وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً وَقَدْ لَقِينَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ شِدَّةً » .

( خَبَّابُ بْنُ الْأَرْتِ ) ( خَبَّابُ بْنُ الْأَرْتِ التَّمِيمِي ، مِنَ السَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ إِلَى الْإِسْلَامِ ، وَمِنَ الصَّحَابَةِ الَّذِينَ عُذِّبُوا فِي مَكَّةَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ .

( متوسد بردة ) أي : كساء مخططا . والمعنى جاعل البردة وسادة له ، من توسد الشيء جعله تحت رأسه .

( أَلَا تَدْعُو لَنَا ) أي على المشركين فإنهم يؤذوننا .

( بِالْمِنْشَارِ ) بكسر الميم هو آلة يشق بها الخشب .

( مَا دُونَ حِمِّهِ وَعَظْمِهِ ) والمعنى ما عند عظمه ومن بيانية ، وفي رواية للبخاري ( ما دون لحمه من عظم أو عصب ) قال القاري : أي ما تحت لحم ذلك الرجل أو غيره وهو الظاهر . وقال الطيبي : من بيان لما وفيه مبالغة بأن الأمشاط لحدتها وقوتها كانت تنفذ من اللحم إلى العظم وما يلتصق به من العصب .

( وَلَكِنْ تَسْتَعْجِلُونَ ) أي : سيزول عذاب المشركين ، فاصبروا على أمر الدين كما صبر من سبقكم .

١- الحديث دليل على عظم ما لقي النبي ﷺ وأصحابه من الأذى في سبيل الله .

عن عائشة - رضي الله عنها - رَوَى النَّبِيُّ ﷺ ( أَنَّهَا قَالَتْ لِلنَّبِيِّ ﷺ هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمٍ أُحُدٍ قَالَ (لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكَ مَا لَقِيتُ، وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ، إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كَلَالٍ، فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ، فَأَنْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِ، فَلَمْ أَسْتَفِيقْ إِلَّا وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي، فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي، فَنَظَرْتُ

فَإِذَا فِيهَا جَبْرِيلُ فَنَادَانِي فَقَالَ إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِيَتَأَمَّرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ، فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ، فَسَلَّمَ عَلَيَّ ثُمَّ قَالَ يَا مُحَمَّدُ، فَقَالَ ذَلِكَ فِيمَا شِئْتَ، إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطَبِّقَ عَلَيْهِمُ الْأَحْشِينَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا) رواه البخاري .

وَعَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ قَالَ سَأَلْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو عَنْ أَشَدِّ مَا صَنَعَ الْمُشْرِكُونَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ ( رَأَيْتُ عُقْبَةَ بْنَ أَبِي مُعَيْطٍ جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ يُصَلِّي ، فَوَضَعَ رِذَاءَهُ فِي عُنُقِهِ فَخَنَقَهُ بِهِ خَنْقًا شَدِيدًا ، فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ حَتَّى دَفَعَهُ عَنْهُ فَقَالَ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ . وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ ) رواه البخاري ومسلم .

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ قَالَ ( بَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ سَاجِدٌ وَحَوْلَهُ نَاسٌ مِنْ قُرَيْشٍ جَاءَ عُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ بِسَلَى جَزُورٍ ، فَقَدَفَهُ عَلَى ظَهْرِ النَّبِيِّ ﷺ ، فَلَمْ يَرَفَعْ رَأْسَهُ فَجَاءَتْ فَاطِمَةُ - عَلَيْهَا السَّلَامُ - فَأَخَذَتْهُ مِنْ

ظَهْرِهِ ، وَدَعَتْ عَلَى مَنْ صَنَعَ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ « اللَّهُمَّ عَلَيْنِكَ الْمَلَأَ مِنْ قُرَيْشٍ أَبَا جَهْلٍ بْنُ هِشَامٍ ، وَعُقْبَةُ بْنُ رِبْعَةَ ، وَشَيْبَةَ بْنُ رِبْعَةَ ، وَأُمَيَّةَ بْنَ خَلْفٍ - أَوْ أُبَيَّ بْنَ خَلْفٍ » . شُعْبَةُ الشَّاكُ - فَرَأَيْتُهُمْ قُتِلُوا يَوْمَ بَدْرٍ ، فَأُلْقُوا فِي بَيْتٍ غَيْرِ أُمَيَّةٍ أَوْ أُبَيٍّ تَقَطَّعَتْ أَوْصَالُهُ ، فَلَمْ يُلْقَ فِي الْبَيْتِ ) متفق عليه .

وعن أنس قال : قال رسول الله ﷺ ( لقد أخفت في الله وما يخاف أحد ولقد أوديت في الله وما يؤذى أحد ) رواه الترمذي .

**قال ابن القيم :** هذا يفهم منه معنيان :

**أحدهما :** أن ذلك في مرضاته وطاعته وسبيله وهذا فيما يفعله الإنسان باختياره كما في الحديث ( تعلمت فيك العلم ) .

**والثاني :** أنه بسببه وبجهته حصل ذلك وهذا فيما يصيبه بغير اختياره وغالب ما يأتي قولهم ( ذلك في الله ) في هذا المعنى فتأمل قوله ( ولقد أوديت في الله ) وقول خبيب وذلك ( في ذات الإله ) وقول عبد الله بن حزام ( حتى أقتل فيك ) .

قال عبد الله بن مسعود ( أول من أظهر الإسلام سبعة، رسول الله ﷺ ، وأبو بكر، وعمار، وأمه سمية، وصهيب، وبلال، والمقداد، فأما رسول الله ﷺ فمنعه الله بعمه أبي طالب، وأما أبو بكر فمنعه الله بقومه، وأما سائرهم فأخذهم المشركون فألبسوهم أذراع الحديد، وصهروهم في الشمس، فما منهم إنسان إلا وقد واثمهم على ما أرادوا إلا بلال، فإنه هانت عليه نفسه في الله وهان على قومه، فأعطوه الودان، وأخذوا يطوفون به شعاب مكة، وهو يقول: أحد أحد ) .

٢- سنة الله في تأخر النصر .

٣- تربية النبي ﷺ لأصحابه بالتأسي بالسابقين .

٤- أن الرسل تتبلى ثم يكون لها التمكين قال تعالى ( حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ) .

٥- أن التعذيب من قبل أعداء الدعوة منذ القدم .

٦- يجب الإيمان والثقة بنصر الله ، وإن تأخر في نظر الشخص ، فإنما ذلك لحكمة .

٤٢- وعن ابن مسعود رضي الله عنه ، قَالَ : لَمَّا كَانَ يَوْمُ حُنَيْنٍ آتَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ نَاسًا فِي الْقِسْمَةِ ، فَأَعْطَى الْأَقْرَعَ بْنَ حَابِسٍ مِثْلَهُ مِنَ الْإِبِلِ ، وَأَعْطَى عُيَيْنَةَ بْنَ حِصْنٍ مِثْلَ ذَلِكَ ، وَأَعْطَى نَاسًا مِنْ أَشْرَافِ الْعَرَبِ وَآثَرَهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْقِسْمَةِ . فَقَالَ رَجُلٌ : وَاللَّهِ إِنَّ هَذِهِ قِسْمَةٌ مَا عُدِلَ فِيهَا ، وَمَا أُرِيدَ فِيهَا وَجْهُ اللَّهِ ، فَقُلْتُ : وَاللَّهِ لَأُخْبِرَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، فَأَتَيْتُهُ فَأَخْبَرْتُهُ بِمَا قَالَ ، فَتَغَيَّرَ وَجْهُهُ حَتَّى كَانَ كَالصَّرَفِ . ثُمَّ قَالَ : « فَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ يَعْدِلِ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ؟ » ثُمَّ قَالَ : « يَرْحَمُ اللَّهُ مُوسَى قَدْ أُودِيَ بِأَكْثَرِ مِنْ هَذَا فَصَبِرَ » . فَقُلْتُ : لَا جَرَمَ لَا أَرْفَعُ إِلَيْهِ بَعْدَهَا حَدِيثًا . مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ . وَقَوْلُهُ : « كَالصَّرَفِ » هُوَ بِكَسْرِ الصَّادِ الْمُهْمَلَةِ : وَهُوَ صَبْنُ أَحْمَرٍ .

-----

( لَمَّا كَانَ يَوْمُ حُنَيْنٍ ) أي : لما كانت غزوة حنين ، وهو واد بين مكة والطائف .  
 ( آتَى ) أي : فضل .  
 ( رَسُولُ اللَّهِ ﷺ نَاسًا فِي الْقِسْمَةِ ) على غيرهم في الحظ والغنيمة .  
 ( فَقَالَ رَجُلٌ ) قال في الفتح : في رواية الأعمش ( فقال رجل من الأنصار ) .  
 ( وَاللَّهِ إِنَّ هَذِهِ قِسْمَةٌ مَا عُدِلَ فِيهَا ، وَمَا أُرِيدَ فِيهَا وَجْهُ اللَّهِ ) قال القرطبي : هذا قول جاهل بحال النبي ﷺ ، غليظ الطبع ، حريص شره منافق .  
 ( فَقُلْتُ ) أي : ابن مسعود .  
 ( فَتَغَيَّرَ وَجْهُهُ حَتَّى كَانَ كَالصَّرَفِ ) هُوَ بِكَسْرِ الصَّادِ الْمُهْمَلَةِ : وَهُوَ صَبْنُ أَحْمَرٍ .  
 ( فَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ يَعْدِلِ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ؟ ) الاستفهام هنا إنكاري بمعنى النفي ، والمعنى : لا أحد يعدل إذا لم يعدل الله .  
 ( يَرْحَمُ اللَّهُ مُوسَى ) ابن عمران .

١- الحديث دليل على صبر النبي ﷺ على آذاه .

٢- في قوله ( لقد أودى موسى ) تسلية لنفسه رضي الله عنه ، وتحريض لأُمَّته على الصبر على الأذى .

٣- عدل الرسول ﷺ في القسمة ، وقد جاء في رواية ( ويك ومن يعدل إذا لم أعدل ، قد خبت وخسرت إن لم أعدل ) .

٤- اختلف في السبب في عدم قتله رضي الله عنه للمنافقين مع علمه ببعضهم :

قيل : ما في الصحيحين: عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ أَتَى رَجُلٌ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِالْجُعْرَانَةِ مُنْصَرَفَهُ مِنْ حُنَيْنٍ وَفِي ثَوْبٍ بِلَالٍ فَضَّةٌ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقْبِضُ مِنْهَا النَّاسَ فَقَالَ يَا مُحَمَّدُ اعْدِلْ . قَالَ « وَيْلَكَ وَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَكُنْ أَعْدِلُ لَقَدْ خَبْتُ وَخَسِرْتُ إِنْ لَمْ أَكُنْ أَعْدِلُ » . فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه دَعْنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ فَأَقْتُلْ هَذَا الْمُنَافِقَ . فَقَالَ « مَعَادَ اللَّهِ أَنْ يَتَحَدَّثَ النَّاسُ أَنَّي أَقْتُلُ أَصْحَابِي إِنَّ هَذَا وَأَصْحَابَهُ يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ يَمْرُقُونَ مِنْهُ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرِّمِيَّةِ ) متفق عليه .

ومعنى هذا خشية أن يقع بسبب ذلك تغير لكثير من الأعراب عن الدخول في الإسلام ولا يعلمون حكمة قتله لهم، وأن قتله إياهم إنما هو على الكفر، فإنهم إنما يأخذونه بمجرد ما يظهر لهم فيقولون: إن محمداً يقتل أصحابه، قال القرطبي: وهذا قول علمائنا وغيرهم كما كان يعطي المؤلف قلوبهم مع علمه بشر اعتقادهم.

وقيل : ما قال مالك، رحمه الله: إنما كف رسول الله ﷺ عن المنافقين ليبين لأُمَّته أن الحاكم لا يحكم بعلمه.

وقيل : ما قال الشافعي: إنما منع رسول الله ﷺ من قتل المنافقين ما كانوا يظهرونه من الإسلام مع العلم بنفاقهم؛ لأن ما يظهرونه يجب ما قبله. ويؤيد هذا قوله رضي الله عنه في الحديث المجمع على صحته في الصحيحين وغيرهما ( أمرت أن أقاتل الناس حتى

يقولوا: لا إله إلا الله، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على الله، عز وجل ( ومعنى هذا : أن من قالها جرت عليه أحكام الإسلام ظاهراً، فإن كان يعتقدونها وجد ثواب ذلك في الدار الآخرة، وإن لم يعتقدوها لم ينفعه في الآخرة جريان الحكم عليه .

٤- الاقتداء بالأنبياء في صبرهم وثباتهم .

٥- جواز إعطاء المؤلف قلوبهم من الغنيمة تألفاً لهم .

٤٣- وعن أنس رضي الله عنه ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدِهِ الْخَيْرَ عَجَّلَ لَهُ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا ، وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدِهِ الشَّرَّ أَمْسَكَ عَنْهُ بِذَنْبِهِ حَتَّى يُؤَافِيَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » .

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « إِنَّ عِظَمَ الْجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ الْبَلَاءِ ، وَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا ، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السُّخْطُ » رواه الترمذي ، وَقَالَ : « حديث حسن ».

-----

١- الحديث مصداق لقوله ﷺ (الأنبياء ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَلَا مِثْلَ فَيُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ فَإِنْ كَانَ دِينُهُ صُلْبًا اشْتَدَّ بِأَلْوُهُ ... ) .

٢- أشد الناس بلاء الأنبياء لأسباب :

أولاً : زيادة في درجاتهم .

ثانياً : تكفيراً لسيئاتهم .

ثالثاً : للاقتداء بهم .

رابعاً : لأنه أعظم للتضرع والالتجاء لله .

٤- فضل الرضا على البلاء .

وكان ﷺ يقول ( ... وأسألك الرضا بعد القضاء ) .

قال ابن القيم : سمعت شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه يقول : سأله الرضا بعد القضاء لأنه حينئذ تبين حقيقة الرضا وأما الرضا قبله : فإنما هو عزم على أنه يرضى إذا أصابه وإنما يتحقق الرضا بعده .

وقال ابن رجب : الرضا بالمصائب له درجتان :

الأولى : الرضا .

وهذه درجة عالية رفيعة جداً .

قال تعالى ( مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ ) .

قال علقمة : هي المصيبة تصيب الرجل ، فيعلم أنها من عند الله ، فيسلم ويرضى .

ومما يدعو المؤمن إلى الرضا بالقضاء تحقيق إيمانه بمعنى قول النبي ﷺ ( لا يقضي الله للمؤمن قضاء إلا كان خيراً له : إن أصابته سراء شكر ، فكان خيراً له ، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له ، وليس ذلك للمؤمن ) .

وقال أبو الدرداء : إن الله إذا قضى قضاء أحب أن يُرضى به .

وقال ابن مسعود : إن الله بقسطه وعدله جعل الروح والفرح في اليقين والرضا ، وجعل الهم والحزن في الشك والسخط .

فالراضي لا يتمنى غير ما هو عليه من شدة ورخاء .

وقال عمر بن عبد العزيز : أصبحت ومالي سرور إلا في مواضع القضاء والقدر .

ثم قال ابن رجب : فمن وصل إلى هذه الدرجة : كان عيشه كله في نعيم وسرور .

قال تعالى ( مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً ) قال بعض السلف : الحياة الطيبة : الرضا والقناعة .

وقال عبد الواحد بن زيد : الرضا بعد الله الأعظم ، وجنة الدنيا ، ومستراح العابدين .

الثانية : الصبر على البلاء لمن لا يستطيع الرضا .

وهذا واجب متحتم على المؤمن ، وفيه خير كثير ، قد تقدمت فضائله .

قال ابن رجب : والفرق بين الرضا والصبر :

أن الصبر كف النفس وحبسها عن التسخط مع وجود الألم ، وتمني زوال ذلك .

والرضا : انشراح الصدر وسعته بالقضاء ، وترك تمني زوال ذلك المؤلم .

٥- قال ابن القيم مبيناً ثمرات الرضا :

منها : أن الرضى يفتح باب حسن الخلق مع الله تعالى ومع الناس فإن حسن الخلق من الرضى وسوء الخلق من السخط .

ومنها : أن الرضى يخلصه من عيب ما لم يعبه الله ومن ذم ما لم يذمه الله فإن العبد إذا لم يرض بالشيء عابه بأنواع المعاييب وذمه بأنواع المذام وذلك منه قلة حياء من الله وذم لما ليس له ذنب وعيب لخلقه وذلك يسقط العبد من عين ربه .

ومنها : أن الرضى بالقدر يخلص العبد من أن يرضي الناس بسخط الله وأن يذمهم على ما لم يؤته الله وأن يحمدهم على ما هو عين فضل الله .

ومنها : أن الرضى يفرغ قلب العبد ويقلل همه وغمه فيتفرغ لعبادة ربه بقلب خفيف من أثقال الدنيا وهمومها .

ومنها : أن الرضى يخلص العبد من مخاصمة الرب تعالى في أحكامه وأقضيته فإن السخط عليه مخاصمة له فيما لم يرض به العبد .

ومنها : أن الرضا يفتح له باب السلامة فيجعل قلبه سليماً نقياً من الغش والدغل والغل ولا ينجو من عذاب الله إلا من أتى الله بقلب سليم ، كذلك وتستحيل سلامة القلب مع السخط وعدم الرضا ، وكلما كان العبد أشد رضا كان قلبه أسلم ، فالخبت والدغل والغش : قرين السخط ، وسلامة القلب من ثمرات الرضا . (مدارج السالكين)

٤٤ - وعن أنس رضي الله عنه ، قَالَ ( كَانَ ابْنُ لَآئِي طَلْحَةَ ﷺ يَشْتَكِي ، فَخَرَجَ أَبُو طَلْحَةَ ، فَقَبِضَ الصَّبِيَّ ، فَلَمَّا رَجَعَ أَبُو طَلْحَةَ ، قَالَ : مَا فَعَلَ ابْنِي ؟ قَالَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ وَهِيَ أُمُّ الصَّبِيِّ : هُوَ أَسْكَنَ مَا كَانَ ، فَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ الْعِشَاءَ فَتَعَشَّى ، ثُمَّ أَصَابَ مِنْهَا ، فَلَمَّا فَرَغَ ، قَالَتْ : وَارُوا الصَّبِيَّ فَلَمَّا أَصْبَحَ أَبُو طَلْحَةَ أَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَخْبَرَهُ ، فَقَالَ : « أَعَرَسْتُمُ اللَّيْلَةَ ؟ » قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : « اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهَا » ، فَوَلَدَتْ غُلَامًا ، فَقَالَ لِي أَبُو طَلْحَةَ : اخْلُصْهُ حَتَّى تَأْتِيَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ ، وَبَعَثَ مَعَهُ بَنَمَرَاتٍ ، فَقَالَ : « أَمَعَهُ شَيْءٌ ؟ » قَالَ : نَعَمْ ، ثَمَرَاتٌ ، فَأَخَذَهَا النَّبِيُّ ﷺ فَمَضَعَهَا ، ثُمَّ أَخَذَهَا مِنْ فِيهِ فَجَعَلَهَا فِي فِي الصَّبِيِّ ، ثُمَّ حَنَكَهُ وَسَمَّاهُ عَبْدَ اللَّهِ . مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

وفي رواية للبخاري : قَالَ ابْنُ عُيَيْنَةَ : فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ : فَرَأَيْتُ تِسْعَةَ أَوْلَادٍ كُلُّهُمْ قَدْ قَرَأُوا الْقُرْآنَ ، يَعْنِي : مِنْ أَوْلَادِ عَبْدِ اللَّهِ الْمُوَلُودِ .

وفي رواية لمسلم ( مَاتَ ابْنُ لَآئِي طَلْحَةَ مِنْ أُمِّ سُلَيْمٍ ، فَقَالَتْ لِأَهْلِهَا : لَا تُحَدِّثُوا أَبَا طَلْحَةَ بِابْنِهِ حَتَّى أَكُونَ أَنَا أَحَدُهُ ، فَجَاءَ فَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ عِشَاءً فَأَكَلَ وَشَرِبَ ، ثُمَّ تَصَنَّعَتْ لَهُ أَحْسَنَ مَا كَانَتْ تَصْنَعُ قَبْلَ ذَلِكَ ، فَوَقَعَ بِهَا . فَلَمَّا أَنْ رَأَتْ أَنَّهُ قَدْ شَبِعَ وَأَصَابَ مِنْهَا ، قَالَتْ : يَا أَبَا طَلْحَةَ ، أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ قَوْمًا أَعَارُوا عَارِيَتَهُمْ أَهْلَ بَيْتٍ فَطَلَبُوا عَارِيَتَهُمْ ، أَهْمُ أَنْ يَمْنَعُوهُمْ ؟ قَالَ : لَا ، فَقَالَتْ : فَاحْتَسِبِ ابْنَكَ ، قَالَ : فَغَضِبَ ، ثُمَّ قَالَ : تَرَكْتَنِي حَتَّى إِذَا تَلَطَّخْتُ ، ثُمَّ أَخْبَرْتَنِي بِابْنِي ؟! فَانْطَلَقَ حَتَّى أَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَخْبَرَهُ بِمَا كَانَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « بَارَكَ اللَّهُ فِي لَيْلَتِكُمَا » ، قَالَ : فَحَمَلْتُ . قَالَ : وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي سَفَرٍ وَهِيَ مَعَهُ ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَتَى الْمَدِينَةَ مِنْ سَفَرٍ لَا يَطْرُقُهَا طُرُوقًا فَدَنُوا مِنَ الْمَدِينَةِ ، فَضَرَبَهَا الْمَخَاضُ ، فَاحْتَبَسَ عَلَيْهَا أَبُو طَلْحَةَ ، وَانْطَلَقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ . قَالَ : يَقُولُ أَبُو طَلْحَةَ : إِنَّكَ لَتَعْلَمُ يَا رَبِّ أَنَّهُ يُعْجِبُنِي أَنْ أُخْرَجَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذَا خَرَجَ وَأَدْخُلَ مَعَهُ إِذَا دَخَلَ وَقَدْ احْتَبَسْتُ بِمَا تَرَى ، تَقُولُ أُمُّ سُلَيْمٍ : يَا أَبَا طَلْحَةَ ، مَا أَجِدُ الَّذِي كُنْتُ أَجِدُ أَنْطَلِقُ ، فَانْطَلَقْنَا وَضَرَبَهَا الْمَخَاضُ حِينَ قَدِمَا فَوَلَدَتْ غُلَامًا . فَقَالَتْ لِي أُمِّي : يَا أَنْسُ ، لَا يُرْضِعُهُ أَحَدٌ حَتَّى تَغْدُو بِهِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَلَمَّا أَصْبَحَ احْتَمَلْتُهُ فَانْطَلَقْتُ بِهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ .. وَذَكَرَ تَمَامَ الْحَدِيثِ .

( كَانَ ابْنُ لَآئِي طَلْحَةَ ﷺ يَشْتَكِي ) وفي الرواية الأخرى ( اشتكى ابن لآئي طلحة ) أي : مريض ، وليس المراد أنه صدرت منه شكوى ، لكن لما كان الأصل أن المريض يحصل منه ذلك استعمل في كل مرض لكل مريض ، والابن المذكور هو أبو عمير الذي كان النبي ﷺ يمازحه ويقول له : يا أبا عمير ، ما فعل النغير .

( فَقَبِضَ الصَّبِيَّ ) أي : مات ، وفي الرواية الثانية ( فلما رأت امرأته أنه قد مات هيأت شيئاً ، ونَحَتْه في جانب البيت ، فلما جاء أبو طلحة ، قال : كيف الغلام ؟ قالت : قد هدأت نفسه ، وأرجو أن يكون قد استراح ، وظن أبو طلحة أنها صادقة ) أي بالنسبة إلى ما فهمه من كلامها ، وإلا فهي صادقة بالنسبة إلى ما أرادت .

( ثُمَّ أَصَابَ مِنْهَا ) وفي الرواية الثانية ( فبات ، فلما أصبح اغتسل ) كناية عن الجماع ، بدليل رواية الباب ( ثم أصاب منها ) وفي رواية أخرى ( ثم تعرضت له فأصاب منها ) .

( فَلَمَّا فَرَغَ ، قَالَتْ : وَارُوا الصَّبِيَّ ) أي : ادفنوه ، وفي الرواية الثانية ( فلما أراد أن يخرج أعلمته أنه قد مات ، فصلى مع النبي ﷺ ثم أخبر النبي ﷺ بما كان منها ) .

( أَعَرَسْتُمُ اللَّيْلَةَ ؟ ) هُوَ بِإِسْكَانِ الْعَيْنِ ، وَهُوَ كِنَايَةٌ عَنِ الْجِمَاعِ .

١- وفي هذا الحديث مناقب لإمام سليم رضي الله عنها من عظيم صبرها، وحسن رضاها بقضاء الله تعالى، وجزالة عقلها في إخفاؤها موته على أبيه في أول الليل ليبيت مستريحاً بلا حزن، ثم عشتته ونعشت، ثم تصنعت له، وعرضت له بإصابته فأصابها.

من فضائلها :

أولاً : العقل والحكمة: فقد كانت من عقلاء النساء .

وموقفها مع زوجها أبي طلحة يوم وفاة ولدها يدل على ذلك، وهو موقف يدل عقل راجح وحكمة بالغة، وصبر جميل .

ثانياً : الشجاعة والإقدام .

فكانت تغزو مع رسول الله ﷺ ولها قصص مشهورة .

منها : ما أخرجه ابن سعد بسند صحيح ( أن أم سليم اتخذت خنجرًا يوم حنين فقال أبو طلحة يا رسول الله هذه أم سليم معها خنجر ، فقالت : اتخذته إن دنا مني أحد من المشركين بقرت بطنه ) .

وكانت أم سليم بنت ملحان مع زوجها أبي طلحة فالتفت رسول الله ﷺ وهي حازمة وسطها ومعها جمل أبي طلحة فقالت بأبي أنت وأمي يا رسول الله ﷺ اقتل هؤلاء الذين يهزمون عنك كما تقتل هؤلاء الذين يقاتلونك فقال رسول الله ﷺ أو يكفي الله يا أم سليم .

ثالثاً : حب النبي ﷺ واقتفاء أثره في كل شيء .

فعن أنس بن مالك أن النبي ﷺ دخل على أم سليم بيتها وفي البيت قربة معلقة فيها ماء فتناولها فشرب من فيها وهو قائم فأخذتها أم سليم فقطعت فمها فأمسكته ) .

وكان النبي ﷺ يعرف حرص أم سليم على ذلك ويقدر لها ذلك ويمكنها من التبرك به ﷺ كلما أمكن ، ولذا فقد ثبت عنه ﷺ أنه لما حلق شعره يوم النحر ، أشار بيده إلى الجانب الأيمن هكذا، فقسم شعره بين من يليه، ثم أشار إلى الحلاق وإلى الجانب الأيسر فحلقه فأعطاه أم سليم .

فهكذا ساوى النبي ﷺ أم سليم بالناس حين أعطاهما وحدها نصف شعر الرأس، وأعطى بقية الناس النصف الآخر، وما ذاك إلا تقدير منه ﷺ لأم سليم على اعتنائها الشديد بتتبع آثاره، وهو دليل على حبها الشديد للنبي ﷺ وقرىبه منه ﷺ .

وعن أم سليم قالت (كان رسول الله ﷺ يقيّل في بيتي فكنت أبسط له نطعاً فيقيّل عليه فيعرق فكنت آخذ سكاً فأعجنه بعرقه).

رابعاً : العلم والفقه .

ففي صحيح البخاري عن عكرمة (أن أهل المدينة سألوا ابن عباس رضي الله عنهما عن امرأة طافت ثم حاضت قال لهم: تنفرو، قالوا: لا نأخذ بقولك وندع قول زيد ﷺ قال إذا قدمتم المدينة فسلوا، فقدموا المدينة فكان فيمن سألوا أم سليم فذكرت حديث صفية، أي: قول النبي ﷺ لحفصة عقرى حلقى إنك حابستنا أما كنت طفت يوم النحر؟ قالت: بلى، قال: فلا بأس انفري).

ومن مناقبها وفضائلها : قال النبي ﷺ ( دخلت الجنة فسمعت خشفة فقلت من هذا؟ قالوا هذه الغميصاء بنت ملحان أم أنس بن مالك ) .

وكان النبي ﷺ لا يدخل على أحد من النساء إلا على أزواجه إلا أم سليم فإنه كان يدخل عليها فقيّل له في ذلك فقال إني أرحمها قتل أخوها معي .

توفيت في حدود الأربعين في خلافة معاوية رضي الله عن أم سليم وأرضاه .

- ٢- وفيه استعمال المعارض عند الحاجة لقولها : ( هُوَ أَسْكَنُ مِمَّا كَانَ ) فَإِنَّهُ كَلَامٌ صَحِيحٌ ، مَعَ أَنَّ الْمَفْهُومَ مِنْهُ أَنَّهُ قَدْ هَانَ مَرَضُهُ وَسَهَّلَ ، وَهُوَ فِي الْحَيَاةِ . وَشَرَطَ الْمَعَارِضُ الْمُبَاحَةَ أَلَّا يَضِيعَ بِهَا حَقُّ أَحَدٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ .
- ٣- جواز الأخذ بالشدة وترك الرخصة مع القدرة عليها والتسلية عن المصائب .
- ٤- وجوب الصبر والاحتساب عند المصيبة .
- ٤- وفيه تزيين المرأة لزوجها ، وتعرضها لطلب الجماع منه .
- ٥- أن من ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً منه .
- ٦- بيان حال أم سليم من التجلد وجودة الرأي وقوة العزم .
- ٧- تواضع النبي ﷺ ووسمه بيده .
- ٨- استحباب تحنيك المولود وأن يكون بالتمر ، وقد كانوا يبعثون بمواليدهم للنبي ﷺ لتحنيكهم لأجل البركة كما في الحديث ، وفي الصحيحين عن أبي موسى الأشعري قال : ولد لي غلام فأنتيت به النبي ﷺ ، فسماه إبراهيم وحنكه بتمر ، و زاد البخاري : " و دعا له بالبركة و دفعه إلي " .
- ٨- عناية الإسلام والأطفال ، وتكرمه لهم منذ خروجهم إلى الدنيا .
- ٩- استحباب تسمية المولود في يومه الأول ، وقد ثبتت السنة عن رسول الله ﷺ :  
حيث قال ( وُلِدَ لِي اللَّيْلَةُ وَلَدٌ سَمَّيْتُهُ بِاسْمِ أَبِي إِبْرَاهِيمَ ) متفق عليه .  
وكذلك ثبت فيهما ( أن أنس بن مالك ذهب بأخيه ، حين ولدته أمه ، إلى رسول الله ﷺ فَحَنَّكَهُ وَسَمَاهُ عَبْدُ اللَّهِ ) .  
وفي صحيح البخاري ( أن رجلاً قال : يا رسول الله ، وُلِدَ لِي وَلَدٌ ، فَمَا أُسَمِّيهِ؟ قال : اسْمُ وَلَدِكَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ ) .
- ١٠- مشروعية التبرك بالنبي ﷺ في حياته ؛ بريقه وما لا مس جسده وليس ذلك لأحد بعد النبي ﷺ ، حيث لم يفعله الناس مع كبار الصحابة رضي الله عنهم .
- ١١- مشروعية تسجية الميت ولو كان طفلاً صغيراً .
- ١٢- مشروعية خدمة المرأة لزوجها .
- ١٣- فيه صفة المرأة الصالحة .
- ١٤- فيه الفرع لأهل العلم في الهموم والمسائل .

٤٥- وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ ، قَالَ : «لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرْعَةِ، إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

« وَالصُّرْعَةُ » : بَضَمَ الصَّادِ وَفَتَحَ الرَّاءِ وَأَصْلُهُ عِنْدَ الْعَرَبِ مَنْ يَصْرَعُ النَّاسَ كَثِيرًا .

٤٦- وعن سُلَيْمَانَ بْنِ صُرَدٍ رضي الله عنه ، قَالَ : كُنْتُ جَالِسًا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ ، وَرَجُلَانِ يَسْتَبَانِ، وَأَحَدُهُمَا قَدْ احْمَرَّ وَجْهُهُ، وَانْتَفَخَتْ أَوْدَاجُهُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « إِنِّي لَأَعْلَمُ كَلِمَةً لَوْ قَالَهَا لَذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُ ، لَوْ قَالَ : أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ، ذَهَبَ مِنْهُ مَا يَجِدُ » فَقَالُوا لَهُ : إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ ، قَالَ : « تَعَوَّذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ » مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

٤٧- وعن معاذِ بْنِ أَنَسٍ رضي الله عنه : أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ ، قَالَ : « مَنْ كَظَمَ غَيْظًا ، وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْفِذَهُ ، دَعَاهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَى رُؤُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُخَيَّرَهُ مِنَ الْخُورِ الْعَيْنِ مَا شَاءَ » رواه أبو داود والترمذي، وَقَالَ: حديث حسن .

٤٨- وعن أبي هريرة رضي الله عنه : أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ : أَوْصِنِي . قَالَ : « لَا تَغْضَبْ » فَرَدَّدَ مَرَارًا، قَالَ : « لَا تَغْضَبْ » . رواه البخاري

( لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرْعَةِ ) أي : الذي يصرع الناس كثيراً بقوته ، وقد جاء عن أنس أن النبي ﷺ مر بقوم يصطرون فقال ما هذا قالوا فلان ما يصارع أحداً إلا صرعه قال أفلا أدلكم على من هو أشد منه رجل كلمه رجل فكظم غيظه فغلبه وغلب شيطانه وغلب شيطان صاحبه . رواه البزار بسند حسن

١- في الأحاديث التحذير من الغضب .

٢- أن الشديد حقيقة هو من يملك نفسه عند الغضب .

عن أنس (أن النبي ﷺ مرّ على أناس يصطرون ، فقال: ما هذا؟ قالوا : فلان ما يصارع أحداً إلا صرعه، قال: أفلا أدلكم على من هو أشد منه؟ رجل كلمه رجلاً مكتظم غيظه فغلبه وغلب شيطانه وغلب شيطان صاحبه) رواه البزار بسند حسن .

٣- قوله ﷺ ( لا تغضب ) قال السعدي : والنهي عن الغضب في قوله ﷺ ( لا تغضب ) يتضمن أمرين عظيمين :

أحدهما : الأمر بفعل الأسباب ، والتمرن على حسن الخلق ، والحلم والصبر . ( النهي عن تعاطي الأسباب الموصلة إليه من كل ما يحمل الغضي ويهيجه ) .

والثاني : الأمر - بعد الغضب - أن لا ينفذ غضبه : فإن الغضب غالباً لا يتمكن الإنسان من دفعه وردّه ، ولكنه يتمكن من عدم تنفيذه .

٤- الغضب ينقسم إلى قسمين :

القسم الأول : مذموم .

وهو الغضب الدنيوي الذي حذرنا منه النبي ﷺ كما في حديث الباب .

القسم الثاني : وهو محمود .

ما كان لله وللحق .

قالت عائشة ( وما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه إلا أن تنتهك حرمت الله ) متفق عليه .

وغضب ﷺ لما شكى إليه الإمام الذي يطيل بالناس صلاته حتى يتأخر بعضهم عن الصلاة معه ، غضب واشتد غضبه ووعظ الناس وأمر بالتخفيف .

٥- علاج الغضب :

أولاً : الاستعاذة بالله من الشيطان .

لحديث الباب ، سليمان بن صرد .

وقال ﷺ ( إذا غضب الرجل فقال أعوذ بالله ، سكن غضبه ) .

ثانياً : السكوت .

قال رسول الله ﷺ ( إذا غضب أحدكم فليسكت ) رواه أحمد .

ثالثاً : السكون .

قال رسول الله ﷺ ( إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس ، فإن ذهب عنه الغضب وإلا فليضطجع ) رواه أحمد .

قال العلامة الخطابي - رحمه الله - في شرحه على أبي داود : ( القائم متهيب للحركة والبطش ، والقاعد دونه في هذا المعنى ، والمضطجع ممنوع منهما ، فيشبه أن يكون النبي ﷺ إنما أمره بالعود والاضطجاع لئلا ييدر منه في حال قيامه وقعوده بادرة يندم عليها فيما بعد .

رابعاً : تذكر وصية النبي ﷺ للرجل : لا تغضب .

كما في حديث الباب ، حديث أبي هريرة .

وقد جاء في رواية قال الرجل : فكركت حين قال النبي ﷺ ، ما قال فإذا الغضب يجمع الشر كله .

خامساً : من أسباب دخول الجنة .

فقد جاء في رواية لحديث الباب ( لا تغضب ولك الجنة ) وعزاه ابن حجر إلى الطبراني .

سادساً : الأجر العظيم لمن كظم غيظه .

لحديث الباب ، ( من كظم غيظاً وهو قادر على ... ) .

سابعاً : معرفة الرتبة العالية والميزة المتقدمة لمن ملك نفسه .

لحديث الباب ( ليس الشديد بالصرعة ، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب ) .

وقال ﷺ (الصرعة كل الصرعة الذي يغضب فيشتد غضبه ويحمر وجهه ، ويقشعر شعره فيصرع غضبه) . رواه الإمام أحمد

وينتبهز عليه الصلاة والسلام الفرصة في حادثة أمام الصحابة ليوضح هذا الأمر .

فعن أنس ( أن النبي ﷺ مرّ بقوم يصطرون ، فقال : ما هذا ؟ قالوا : فلان الصريع ما يصارع أحداً إلا صرعه قال : أفلا أدلكم على من هو أشد منه ، رجلٌ ظلمه رجلٌ فكظم غيظه فغلبه وغلب شيطانه وغلب شيطان صاحبه ) . رواه البزار قال ابن حجر بإسناد حسن .

ثامناً : التأسى بهديه ﷺ في الغضب .

وهذه السمة من أخلاقه ﷺ ، وهو أسوتنا وقدوتنا ، واضحة في أحاديث كثيرة ، ومن أبرزها :

حديث أنس رضي الله عنه قال ( كنت أمشي مع رسول الله ﷺ ، وعليه بُردٌ نجراني غليظ الحاشية ، فأدركه أعرابي فجذبه بردائه جذبة شديدة ، فظرت إلى صفحة عاتق النبي ﷺ ( ما بين العنق والكتف ) وقد أثرت بها حاشية البرد ، ثم قال : يا محمد مُر لي من مال الله الذي عندك ، فالتفت إليه ﷺ فضحك ، ثم أمر له بعطاء ) متفق عليه .

تاسعاً : معرفة أن رد الغضب من علامات المتقين .

قال تعالى ( وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ . الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ) .  
ومن أخلاقهم أنهم ( وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ) .

عاشراً : دعاء الله .

كان من دعائه عليه السلام (اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق أحيني ما علمت الحياة خيراً لي، وتوفني إذا علمت الوفاة خيراً لي، اللهم وأسألك خشيتك في الغيب والشهادة، وأسألك كلمة الحق في الرضا والغضب، وأسألك القصد في الفقر والغنى ...) .  
قال الحافظ ابن رجب : وأما قوله ( وأسألك كلمة الحق في الغضب والرضا ) فعزيز جداً ، وقد مدح الله من يغفر عند غضبه فقال (وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ) لأن الغضب يحمل صاحبه على أن يقول غير الحق ، ويفعل غير العدل ، فمن كان لا يقول إلا الحق في الغضب والرضا ، دل ذلك على شدة إيمانه وأنه يملك نفسه .  
ثم قال رحمه الله : فإن من لا يملك نفسه عند الغضب إذا غضب قال فيمن غضب عليه ما ليس فيه من العظائم ، وهو يعلم أنه كاذب .

٤- في حديث ( من كظم غيظاً .... ) فضل كظم الغيظ .

أ- قال تعالى ( الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ) .

ب- وقال تعالى (وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ) .

ج- حديث الباب ( من كظم غيظاً وهو قادر على أن ينفعه دعاء الله ... ) .

د- وقال عليه السلام (من كظم غيظاً و لو شاء أن يمضيه أمضاه ملأ الله قلبه رضى يوم القيامة) أخرجه ابن أبي الدنيا في (قضاء الحوائج) عن ابن عمر وحسنه الألباني .

هـ- وقال عليه السلام (ما من جرعة أعظم أجراً عند الله من جرعة غيظ كظمها عبد ابتغاء وجه الله) قال الألباني : أخرجه أحمد بإسنادين عنه ، أحدهما صحيح .

٥- من أقوال السلف في الغضب ؟

● وقال أحد السلف: إياك والغضب، فإنه يصيرك إلى ذل الاعتذار .

● وقال بعضهم: عجباً لمن قيل فيه السوء وهو فيه كيف يغضب!، وعجباً لمن قيل فيه الخير وليس فيه كيف يفرح!

● وقال مورك العجلي : ما قلت في الغضب شيئاً إلا ندمت عليه في الرضا .

● وكان الشعبي ينشد :

ليست الأحلام في حال الرضا إنما الأحلام في حال الغضب .

● وكان ابن عون إذا اشتد غضبه على أحد قال : بارك الله فيك ولم يزد .

● وقال الفضيل بن عياض : أنا منذ خمسين سنة أطلب صديقاً إذا غضب لا يكذب عليّ ما أجده .

● وقال جعفر بن محمد : الغضب مفتاح كل شر .

● وقيل لابن المبارك : اجمع لنا حسن الخلق في كلمة : قال : ترك الغضب .

● وروي أن معاوية بن أبي سفيان قال لعرابة بن أوس : بم سدت قومك يا عرابة ؟ فقال عرابة : يا أمير المؤمنين كنت أحلم عن جاهلهم ، وأعطي سائلهم ، وأسعى في حوائجهم ، فمن فعل منهم فعلي فهو مثلي ، ومن جاوزني فهو أفضل مني ، ومن قصر عني فأنا خير منه .

● ومن اشتهر بالحلم وعدم الغضب الأحنف بن قيس وكان يقال : أحلم من أحنف .

فائدة : نبذة من أقوال وقصص الأحنف بن قيس :

قال ابن المبارك: قيل للأحنف بم سودوك؟ قال: لو عاب الناس الماء لم أشربه.  
وقال خالد بن صفوان: كان الأحنف يفر من الشرف والشرف يتبعه. وقيل للأحنف: إنك كبير والصوم يضعفك. قال: إني أعده لسفر طويل.

قال مغيرة: ذهبت عين الأحنف فقال: ذهبت من أربعين سنة ما شكوتها إلى أحد.  
قال الحسن: ذكروا عن معاوية شيئاً فتكلموا، والأحنف ساكت. فقال: يا أبا بحر! مالك لا تتكلم؟ قال: أخشى الله إن كذبت، وأخشاكم إن صدقت.

وعن الأحنف: عجبت لمن يجري في مجرى البول مرتين كيف يتكبر .  
قيل: عاشت بنو تميم بحلم الأحنف أربعين سنة .

قال سليمان التيمي: قال الأحنف: ثلاث في ما أذكرهن إلا لمعتبر: ما أتيت باب سلطان إلا أن أدعى، ولا دخلت بين اثنين حتى يدخلاني بينهما، وما أذكر أحداً بعد أن يقوم من عندي إلا بخير .

وقال: ما نازعني أحد إلا أخذت أمري بأمر: إن كان فوقني عرفت له قدره، وإن كان دوني رفعت قدره عنه، وإن كان مثلي تفضلت عليه، وقال لست بحليم ولكني أتحلم.

وقيل: إن رجلاً خاصم الأحنف، وقال: لئن قلت واحدة لتسمعن عشراً، فقال: لكنك إن قلت عشراً لم تسمع واحدة.  
وقيل: إن رجلاً قال للأحنف: بم سدت؟ وأراد أن يعيبه، قال الأحنف: بتركي ما لا يعني، كما عنك من أمري ما لا يعنيك.

وعن الأحنف قال: ثلاثة لا ينتصفون من ثلاثة: شريف من دين، وبر من فاجر، وحليم من أحمق.  
وسئل ما المروءة؟ قال: كتمان السر، والبعد عن الشر، والكامل من عدت سقطاته.  
وعنه قال: رأس الأدب آلة المنطق، لا خير في قول بلا فعل، ولا في منظر بلا مخبر، ولا في مال بلا جود، ولا في صديق بلا وفاء، ولا في فقه بلا ورع، ولا في صدقة إلا بنية، ولا في حياة إلا بصحة وأمن .  
ورأى الأحنف في يد رجل درهماً، فقال: لمن هذا؟ قال لي، قال: ليس هو لك حتى تخرجه في أجر أو اكتساب شكر.. وتمثل:

أنت للمال إذا أمسكته \*\*\* فإذا أنفقتة فالمال لك

وقيل: كان الأحنف إذا أتاه رجل وسع له، فإن لم يكن له سعة أراه كأنه يوسع له.  
وعنه قال: جنبوا مجالسنا ذكر النساء والطعام؛ إني أبغض الرجل يكون وصافاً لفرجه وبطنه .  
وقيل: إنه كلم مصعباً في محبوسين قال: أصلح الله الأمير! إن كانوا حبسوا في باطل فالعدل يسعهم، وإن كانوا حبسوا في الحق فالعفو يسعهم.

وعنه قال: لا ينبغي للأمير الغضب، لأن الغضب في القدرة مفتاح السيف والندامة.  
وعنه قال: لا يتم أمر السلطان إلا بالوزراء والأعوان، ولا ينفع الوزراء والأعوان إلا بالمودة والنصيحة، ولا تنفع المودة والنصيحة إلا بالرأي والعفة.

٥٠- وعن ابن عباس رضي الله عنهما ، قَالَ : قَدِمَ عُيَيْنَةُ بْنُ حِصْنٍ ، فَنَزَلَ عَلَى ابْنِ أَخِيهِ الْحَرِّ بْنِ قَيْسٍ ، وَكَانَ مِنَ النَّفَرِ الَّذِينَ يُدْنِيهِمْ عُمَرُ رضي الله عنه ، وَكَانَ الْقُرَاءُ أَصْحَابَ مَجْلِسِ عُمَرَ رضي الله عنه وَمُشَاوَرَتِهِ كُھُولًا كَانُوا أَوْ شُبَّانًا ، فَقَالَ عُيَيْنَةُ لِابْنِ أَخِيهِ : يَا ابْنَ أَخِي ، لَكَ وَجْهٌ عِنْدَ هَذَا الْأَمِيرِ فَاسْتَأْذِنْ لِي عَلَيْهِ ، فَاسْتَأْذَنْ فَأَذِنَ لَهُ عُمَرُ . فَلَمَّا دَخَلَ قَالَ : هِيَ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ ، فَوَاللَّهِ مَا تُعْطِينَا الْجَزْلَ وَلَا تُحْكُمُ فِينَا بِالْعَدْلِ . فَغَضِبَ عُمَرُ رضي الله عنه حَتَّى هَمَّ أَنْ يُوقِعَ بِهِ . فَقَالَ لَهُ الْحَرُّ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ لِنَبِيِّهِ ﷺ ( خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ) وَإِنَّ هَذَا مِنَ الْجَاهِلِينَ ، وَاللَّهُ مَا جَاوَزَهَا عُمَرُ حِينَ تَلَاهَا ، وَكَانَ وَقَافًا عِنْدَ كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى . رواه البخاري .

( قَدِمَ عُيَيْنَةُ بْنُ حِصْنٍ ) الفزاري معدود في الصحابة ، كان في الجاهلية موصوفاً بالشجاعة والجهل والجفاء ، ثم أسلم في الفتح وشهد مع النبي ﷺ حيناً فأعطاه مع المؤلفلة قلوبهم

( وَكَانَ مِنَ النَّفَرِ الَّذِينَ يُدْنِيهِمْ عُمَرُ رضي الله عنه ) يبين بعد ذلك السبب بقوله (وَكَانَ الْقُرَاءُ أَصْحَابَ مَجْلِسِ عُمَرَ رضي الله عنه) .

( فَقَالَ عُيَيْنَةُ لِابْنِ أَخِيهِ : يَا ابْنَ أَخِي ، لَكَ وَجْهٌ عِنْدَ هَذَا الْأَمِيرِ ) هذا من جملة جفاء عيينة إذ كان من حقه أن ينعته بأمر المؤمنين ولكنه لا يعرف منازل الكبار .

( هِيَ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ ) هذا أيضاً من جفائه حيث خاطبه بهذه المخاطبة .

فَوَاللَّهِ مَا تُعْطِينَا الْجَزْلَ ( الجزل : العطاء الكثير .

( وَكَانَ وَقَافًا عِنْدَ كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى ) كناية عن امتثاله للآية والاهتمام بأمرها ، وعدم تجاوز ذلك .

١- الحديث دليل على فضل كظم الغيظ وترك الانتقام .

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه ( من كان تقياً لم يفش غيظه ، ولولا القيامة لكان ما ترون ) .

٢- الحديث دليل على وقوف السلف عند معاني القرآن والعلم به وتدبره ، فعمر وقف عند ذكر بهذه الآية .

ومن الأمثلة على ذلك :

عن عائشة قالت ( .... فَلَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ هَذَا فِي بَرَاءَتِي قَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رضي الله عنه وَكَانَ يُنْفِقُ عَلَى مِسْطَحِ بْنِ أَثَاثَةَ لِقَرَابَتِهِ مِنْهُ وَاللَّهُ لَا أَنْفِقُ عَلَى مِسْطَحٍ شَيْئاً أَبَدًا بَعْدَ مَا قَالَ لِعَائِشَةَ . فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى ( وَلَا يَأْتِلْ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيُعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ) فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ بَلَى ، وَاللَّهُ إِنِّي لِأُحِبُّ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لِي ، فَرَجَعَ إِلَى مِسْطَحٍ الَّذِي كَانَ يُجْرِي عَلَيْهِ ) رواه البخاري .

وعن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ ( كَانَ أَبُو طَلْحَةَ أَكْثَرَ أَنْصَارِيٍّ بِالْمَدِينَةِ مَالاً وَكَانَ أَحَبَّ أَمْوَالِهِ إِلَيْهِ يَبْرَحِي وَكَانَتْ مُسْتَقْبَلَةَ الْمَسْجِدِ وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدْخُلُهَا وَيَشْرَبُ مِنْ مَاءٍ فِيهَا طَيِّبٍ . قَالَ أَنَسٌ فَلَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ ( لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ) قَامَ أَبُو طَلْحَةَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ فِي كِتَابِهِ ( لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ) وَإِنَّ أَحَبَّ أَمْوَالِي إِلَيَّ يَبْرَحِي وَإِنَّمَا صَدَقَ اللَّهُ أَنْجُو بَرَّهَا وَذُخْرَهَا عِنْدَ اللَّهِ فَضَعَهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ حَيْثُ شِئْتُ . قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « بَخْ ذَلِكَ مَالٌ رَابِعٌ ذَلِكَ مَالٌ رَابِعٌ قَدْ سَمِعْتُ مَا قُلْتَ فِيهَا وَإِنِّي أَرَى أَنَّ تَجْعَلَهَا فِي الْأَقْرَبِينَ » . فَتَسَمَّيْتُ أَبُو طَلْحَةَ فِي أَقَارِبِهِ وَبَنِي عَمِّهِ ) متفق عليه .

وعن ابن عمر قال ( حضرتني هذه الآية ( لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ) فذكرت ما أعطاني الله ، فلم أجد شيئاً أحب إلي من مرجانة ، جارية لي رومية ، فقلت : هي حرة لوجه الله ، فلو أي أعود في شيء جعلته الله لأنكحتها نافعاً ) رواه البزار .

ولما نزلت الآية (لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ) قال زيد بن حارثة: اللهم إنك تعلم أنه ليس لي مال أحب إلي من فرسي هذه، فجاء بها إلى النبي ﷺ فقال: هذه في سبيل الله، فقال رسول الله ﷺ: قد قبله الله منك).  
وروى عن الثوري أنه بلغه أن أم ولد الربيع بن خثيم قالت (كان إذا جاءه السائل يقول لي: يا فلانة أعطي السائل سكرًا فإن الربيع يحب السكر) قال سفيان يتأول قوله جل وعز (لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ).  
وروي عن عمر بن عبد العزيز ﷺ (أنه كان يشتري أعدالاً من السكر ويتصدق بها. فقيل له: هلا تصدقت بقيمتها؟ فقال: لأن السكر أحب إلي فأردت أن أنفق مما أحب).

وعن أنس بن مالك ﷺ قال: (لما نزلت هذه الآية (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ) كان ثابت بن قيس بن شماس رفيع الصوت فقال: أنا الذي كنت أرفع صوتي على رسول الله ﷺ وأنا من أهل النار حبط عملي وجلس في أهله حزيناً، ففقد رسول الله ﷺ فانطلق بعض القوم إليه فقالوا له: تفقدك رسول الله ﷺ مالك؟ قال أنا الذي أرفع صوتي فوق صوت النبي وأجهر له بالقول حبط عملي أنا من أهل النار، فأتوا النبي ﷺ فأخبروه بما قال فقال النبي ﷺ لا، بل هو من أهل الجنة، قال أنس ﷺ فكنا نراه يمش بين أظهرنا ونحن نعلم أنه من أهل الجنة. فلما كان يوم اليمامة كان فينا بعض الانكشاف، فجاء ثابت بن قيس بن شماس وقد تحنط ولبس كفته، فقال: بئسما تعودون أفرانكم، فقاتلهم حتى قُتل ﷺ) رواه أحمد في المسند واللفظ له، ومسلم نحوه.  
هكذا كان السلف الصالح من الصحابة والتابعين إذا سمعوا آيات الله ظنوا أنها ما أنزلت إلا فيهم، وما تخاطب إلا هم أما نحن فشتان ما بيننا وبينهم نسمع آيات الله ونظن أنها نزلت لغيرنا، فكان هذا حال السلف وهذا حالنا فإلى الله المشتكى.

عن معقل بن يسار أنها نزلت فيه (وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَّغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ ...) قال: زوجت اختاً لي من رجل فطلقها حتى إذا انقضت عدتها جاء يخطبها، فقلت له زوجتك وأفرشتك وأكرمتك فطلقتها ثم جئت تخطبها، لا والله لا تعود إليك أبداً، وكان رجلاً لا بأس به، وكانت المرأة تريد أن ترجع إليه، فأنزل الله هذه الآية (... فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ..) فقلت: الآن أفعَل يا رسول الله! قال: فزوجها إياه).

وفي رواية أبي مسلم الكجي من طريق مبارك بن فضالة عن الحسن (فسمع ذلك معقل بن يسار فقال: سمعاً لربي وطاعة، فدعا زوجها فزوجها إياه) رواه البخاري.

٥١- وعن ابن مسعود ﷺ: أن رسول الله ﷺ، قال (إِنَّهَا سَتَكُونُ بَعْدِي أَثَرَةٌ وَأُمُورٌ تُنَكِّرُوهَا!) قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَمَا تَأْمُرُنَا؟ قَالَ: «تُؤَدُّونَ الْحَقَّ الَّذِي عَلَيْكُمْ، وَتَسْأَلُونَ اللَّهَ الَّذِي لَكُمْ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.  
«وَالْأَثَرَةُ»: الانفراد بالشئ عمن له فيه حق.

٥٢- وعن أبي يحيى أسيد بن حضير ﷺ (أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلَا تَسْتَعْمِلُنِي كَمَا اسْتَعْمَلْتَ فَلَانًا، فَقَالَ: «إِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي أَثَرَةً فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي عَلَى الْحَوْضِ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.  
«وَأُسَيْدٌ»: بضم الهمزة. «وحضيرٌ»: بجاءٍ مهملة مضمومة وضاد معجمة مفتوحة

(بَعْدِي أَثَرَةٌ) عرفها المصنف - رحمه الله - بقوله: الانفراد بالشئ عمن له فيه حق.

قال السندي: أي إن الأمراء بعد يفضلون عليكم غيركم.

( وعن أبي يحيى أسيد بن حضير ) صحابي جليل .

( أن رجلاً من الأنصار ) قال الحافظ : لم أقف على اسمه ، عند مسلم ( فخلا برسول الله ﷺ ) .

١- الحديث دليل على علم من أعلام النبوة ، حيث أخبر ﷺ أنه ستكون بعده أثره .

٢- الحديث دليل على وجوب الصبر على ظلم الولاة وعدم الخروج عليهم ، وذلك لسببين :

الأول : لما ينتج من ذلك من فساد كبير وفتنة عظيمة .

ثانياً : أن أكثر من يخرج عن ولاة الأمور إنما يخرجون لأجل الدنيا لا لله .

قال النووي : وفيه الحث على السمع والطاعة ، وإن كان المتولي ظالماً عسوقاً ، فيعطى حقه من الطاعة ، ولا يخرج عليه ولا يُخلع ؛ بل يُتصرع إلى الله تعالى في كشف أذاه ، ودفع شره وإصلاحه ،

● قال ابن تيمية : فالخروج عليهم يُوجب من الظلم والفساد أكثر من ظلمهم فيصبر عليه كما يصبر عند الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على ظلم المأمور والمنهي في مواضع كثيرة كقوله ( وأمر بالمعروف وأنه عن المنكر واصبر على ما أصابك ) وقوله ( فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ) وقوله ( واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا ) وهذا عام في ولاة الأمور وفي الرعية .

● وقال رحمه الله أيضاً : ولهذا كان المشهور من مذهب أهل السنة ، أنهم لا يرون الخروج على الأئمة وقتالهم بالسيف وإن كان فيهم ظلم ، كما دلت على ذلك الأحاديث الصحيحة المستفيضة عن النبي ﷺ ، لأن الفساد في القتال والفتنة أعظم من الفساد الحاصل بظلمهم بدون قتال ولا فتنة ، فلا يدفع أعظم الفسادين بالتزام أدناهما . ولعله لا يكاد يعرف طائفة خرجت على ذي سلطان إلا وكان في خروجها من الفساد ما هو أعظم من الفساد الذي أزالته .

● وقال رحمه الله : والإسلام جاء بالعلم النافع والعمل الصالح ، بمعرفة الحق وقصده . فيتفق أن بعض الولاة يظلم باستئثار فلا تصبر النفوس على ظلمة ، ولا يمكنها دفع ظلمة إلا بما هو أعظم فساداً منه ، ولكن لأجل محبة الإنسان لأخذ حقه ودفع الظلم عنه ، لا ينظر في الفساد العام الذي يتولد عن فعله ، ولهذا قال النبي ﷺ ( إنكم ستلقون بعدي أثره فاصبروا حتى تلقوني على الحوض ) وفي الصحيح من حديث أنس بن مالك وأسيد بن حضير ( أن رجلاً من الأنصار قال : يا رسول الله ألا تستعملني كما استعملت فلاناً ؟ قال : ستلقون بعدي أثره فاصبروا حتى تلقوني على الحوض ) .

● وقال رحمه الله : ... فهذا أمره بقتال الخوارج ، وهذا نهي عن قتال الولاة الظلمة . وهذا مما يُستدل به على أنه ليس كل ظالم باغ يجوز قتاله ... ومن أسباب ذلك أن الظالم الذي يستأثر بالمال والولايات لا يُقاتل في العادة إلا لأجل الدنيا ، يقاتله الناس حتى يعطيهم المال والولايات ، وحتى لا يظلمهم ، فلم يكن أصل قتالهم ليكون الدين كله لله ، ولتكون كلمة الله هي العليا ، ولا كان قتالهم من جنس قتال المحاربين قطاع الطريق .

وبالجملة العادة المعروفة أن الخروج على ولاة الأمور يكون لطلب ما في أيديهم من المال والإمارة ، وهذا قتال على الدنيا . (منهاج السنة ١٥٢/٥)

٦- الحديث دليل على إثبات الحوض .

● تعريف الحوض :

لغة : جمع الماء .

وشرعاً : جمع ماء عظيم يضعه الله عز وجل في عرصات القيامة يرده المؤمنون .

والعرصات : جمع عرصة ، وهي الأرض الفسيحة الواسعة التي لا بناء فيها ولا شجر .

● يجب الإيمان بثبوت هذا الحوض للرسول ﷺ وقد تواترت أدلته :

قال ابن أبي العز : والأحاديث الواردة في ذكر الحوض تبلغ حد التواتر ، رواها من الصحابة بضع وثلاثون صحابياً ، ولقد استقصى طرقها شيخنا عماد الدين بن كثير تغمده الله برحمته في آخر تاريخه الكبير المسمى : بالبداية والنهاية .

عن جندب بن عبد الله ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : ( أنا فرطكم على الحوض ) . متفق عليه

وعن سهل بن سعد ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : ( إني فرطكم على الحوض ، من يرد عليّ شرب ، ومن شرب لم يظماً أبداً ... ) .

● الحوض موجود الآن :

عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : ( ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة ، ومنبري على حوضي ) . متفق عليه

وفي حديث عقبة بن عامر أن النبي ﷺ قال ( إني فرطكم على الحوض ، وإني والله لأنظر إلى حوضي الآن ) رواه البخاري .

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله : ( والله إني لأنظر إلى حوضي الآن ) يحتمل أنه كشف له عنه لما خطب ، وهذا هو الظاهر ، قال : ويحتمل أنه يريد رؤية القلب .

● في كيفية مائه ورائحته .

في الحديث ( ماؤه أبيض من اللبن ، وأحلى من العسل ، وأطيب من ريح المسك ) .

فقوله ( ماؤه أشد بياضاً من اللبن ) هذا في اللون .

وقوله ( وأحلى من العسل ) هذا في الطعم .

وقوله ( وأطيب من ريح المسك ) هذا في الرائحة .

● آنيته :

في الحديث ( ... آنيته كنجوم السماء ) .

هذا اللفظ ( كنجوم السماء ) أشمل من لفظ ( عدد نجوم السماء ) كنجوم السماء في العدد ، وفي النور واللمعان .

● آثار هذا الحوض :

جاء في الحديث ( من يشرب منه فلا يظماً أبداً ) .

● أول من يرد الحوض :

عن ثوبان ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : ( إن حوضي من عدن إلى عمان البلقاء ، ماؤه أشد بياضاً من اللبن ، وأحلى من العسل ،

أول الناس وروداً عليه فقراء المهاجرين الشعث رؤوساً ، الدنس ثياباً ، الذين لا ينكحون المنعمات ، ولا تفتح لهم السدد ، الذين يعطون الحق الذي عليهم ، ولا يُعطون الذي لهم ) . رواه الترمذي وصححه الألباني

● مساحته .

جاء في الحديث ( طوله شهر وعرضه شهر ) .

● مادته :

هذا الحوض يصب فيه ميزابان .

عن أبي ذر رضي الله عنه قال : قلت : يا رسول الله ، ما آنية الحوض ؟ قال : ( والذي نفسي بيده ، لأنيته أكثر من عدد نجوم السماء وكواكبها ، يشخب فيه ميزابان من الجنة ، من شرب منه لم يظمأ ... ) . رواه مسلم

### ● اختلف العلماء هل لكل نبي حوض أم هو خاص برسولنا ﷺ .

قيل : لكل نبي حوض .

عن سمرة بن جندب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : ( لكل نبي حوضاً ، وإنهم ليتباهون أيهم أكثر واردة ، وإني أرجو أن أكون أكثر واردة ) . رواه الترمذي [ وهذا الحديث مختلف فيه فبعضهم صححه وبعضهم ضعفه ولو صح لكان نصاً في محل النزاع ] .

وقيل : أنه لا حوض إلا لرسول ﷺ .

قالوا : إن الحديث ( إن لكل نبي حوضاً ) فيه ضعف .

وقالوا : إن حوض النبي ﷺ هو الحوض الذي تواترت فيه الأدلة .

ورجح بعضهم : لكل نبي حوض ، لكن الحوض الأكبر والأفضل والأعظم هو حوض الرسول ﷺ .

### ● من يرد الحوض .

يرد حوض النبي ﷺ في الجملة كل مؤمن لم يتلبس بمانع من موانع ورود الحوض التي تضمنتها الأحاديث السابقة، غير أن النبي ذكر بعض الأعمال الخاصة التي هي أسباب لنيل شرف ورود حوضه ﷺ منها :  
أ-الصبر عند الأثرة .

ويدل على ذلك حديث الباب ( إنكم ستلقون بعدي أثرة فاصبروا حتى تلقوني على الحوض ) متفق عليه.

ب-عدم الدخول على أئمة الجور ممالأةً ونفاقاً لهم .

فعن كعب بن عجرة عن النبي ﷺ أنه قال ( أنه ستكون بعدي أمراء، من دخل عليهم فصدقهم بكذبهم، وأعانهم على ظلمهم، فليس مني ولست منه، وليس يرد علي الحوض، ومن لم يدخل عليهم، ولم يصدقهم بكذبهم، ولم يعنهم على ظلمهم، فهو مني وأنا منه، وسيرد علي الحوض ) رواه الترمذي والنسائي

### ● من يحرم من الشرب من الحوض :

عن سهل . قال : قال رسول الله ( أنا فرطكم على الحوض ، من ورد شرب ، ومن شرب لم يظمأ أبداً ، وليردن علي أقوام أعرفهم ويعرفوني ، ثم يحال بيني وبينهم ) .

وفي رواية ( إني على الحوض حتى أنظر من يرد علي منكم ، سيؤخذ أناس دوني ، فأقول : يا رب مني ومن أمي ؟ فيقال : أما شعرت ما عملوا بعدك ، والله ما برحوا بعدك يرجعون على أعقابهم ) .

وفي رواية : ( إنك لا علم لك بما أحدثوا بعدك ، إنهم ارتدوا على أدبارهم القهقري ) . رواه البخاري

### ● الفرق بين الكوثر والحوض :

أ-أن الكوثر أعظم من الحوض ، فالكوثر نهر عظيم يجري ، والحوض مجمع الماء .

ب-أن الكوثر في الجنة ، والحوض في أرض المحشر .

ج-أن الكوثر أصل ، والحوض فرع عنه ، لأنه ثبت أن للحوض ميزابين .

٥٣- وعن أبي إبراهيم عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنهما : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي بَعْضِ أَيَّامِهِ الَّتِي لَقِيَ فِيهَا الْعَدُوَّ ، انْتَهَرَ حَتَّى إِذَا مَالَتِ الشَّمْسُ قَامَ فِيهِمْ ، فَقَالَ ( يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، لَا تَتَمَنَّوْا لِقَاءَ الْعَدُوِّ ، وَاسْأَلُوا اللَّهَ الْعَافِيَةَ ، فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاصْبِرُوا ، وَاعْلَمُوا أَنَّ الْجَنَّةَ تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ ) .

ثُمَّ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ ( اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الْكِتَابِ ، وَمُجْرِيَ السَّحَابِ ، وَهَازِمَ الْأَحْزَابِ ، اهْزِمْهُمْ وَانصُرْنَا عَلَيْهِمْ ) مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

( عبد الله بن أبي أوفى ) واسم أبي أوفى : علقمة بن قيس ، كان أبوه صحابياً أيضاً ، وهو وأبوه من أهل بيعة الرضوان ، شهد الحديبية وخيبر وما بعدهما ، مات سنة ٨٧ هـ .

( فِي بَعْضِ أَيَّامِهِ ) أي : أيام غزواته وحروبه .

( حَتَّى إِذَا مَالَتِ الشَّمْسُ ) أي : مالت عن كبد السماء إلى جهة الغروب وهو وقت الزوال .

١- الحديث دليل على النهي عن تمني لقاء العدو، لما في ذلك من الاغترار بالنفس والثقة بها، ولما في ذلك من الإعجاب بالقوة، وعدم الاهتمام بالعدو .

● قال ابن بطال : حكمة النهي أن المرء لا يعلم ما يؤول إليه الأمر، وهو نظير سؤال العافية من الفتن، وقد قال الصديق: لأن أعافى فأشكر أحب إلي من أن أبتلى فأصبر ، وقال غيره : إنما نحى عن تمني لقاء العدو لما فيه من صورة الإعجاب والإنكال على النفوس والثوق بالقوة وقلة الاهتمام بالعدو ، وكل ذلك يبين الاحتياط والأخذ بالحزم .

وقيل يحمل النهي على ما إذا وقع الشك في المصلحة أو حصول الضرر، وإلا فالقتال فضيلة وطاعة. ويؤيد الأول تعقيب النهي بقوله (وسلوا الله العافية) وأخرج سعيد بن منصور من طريق يحيى بن أبي كثير مرسلاً (لا تمنوا لقاء العدو فإنكم لا تدرن عسى أن تبتلوا بهم) . (الفتح)

● وقال ابن دقيق العيد : لما كان لقاء الموت من أشق الأشياء على النفس ، وكانت الأمور الغائبة ليست كالأمور المحققة، لم يؤمن أن يكون عند الوقوع كما ينبغي فيكره التمني لذلك ، ولما فيه لو وقع من احتمال أن يخالف الإنسان ما وعد من نفسه ، ثم أمر بالصبر عند وقوع الحقيقة .

● قال النووي : إِنَّمَا نَهَى عَنْ تَمَنِّي لِقَاءِ الْعَدُوِّ لِمَا فِيهِ مِنْ صُورَةِ الْإِعْجَابِ وَالِاتِّكَالِ عَلَى النَّفْسِ ، وَالْوُثُوقِ بِالْقُوَّةِ ، وَهُوَ نَوْعُ بَغْيٍ ، وَقَدْ ضَمِنَ اللَّهُ تَعَالَى لِمَنْ بَغِيَ عَلَيْهِ أَنْ يَنْصُرَهُ ، وَلَئِنَّهُ يَتَضَمَّنُ قِلَّةَ الْإِهْتِمَامِ بِالْعَدُوِّ وَاحْتِقَارَهُ ، وَهَذَا يُخَالِفُ الْإِحْتِيَاظَ وَالْحَزْمَ ، وَتَأْوِيلُهُ بَعْضُهُمْ عَلَى التَّهْيِ عَنْ التَّمَنِّي فِي صُورَةٍ خَاصَّةٍ ، وَهِيَ إِذَا شَكَّ فِي الْمَصْلَحَةِ فِيهِ وَحُصُولِ ضَرَرٍ ، وَإِلَّا فَالْقِتَالُ كُلُّهُ فَضِيلَةٌ وَطَاعَةٌ ، وَالصَّحِيحُ الْأَوَّلُ ، وَلِهَذَا تَمَنَّى ﷺ بِقَوْلِهِ ﷺ ( وَاسْأَلُوا اللَّهَ الْعَافِيَةَ ) .

● قال بعض العلماء : لأن هذا التمني غالباً ما يكون دافعه وسببه وثوق المرء بقوة نفسه وثباته وصبره، وفي غزوة حنين درسٌ بليغٌ في ذلك، وغالباً ما تكون الحقائق خلاف ما يظن الإنسان فيقع منه المحذور من الفرار وعدم الثبات، أو شدة الخوف والاضطراب، وليس الخبر كالمعاينة، كما قال تعالى (ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه فقد رأيتموه وأنتم تنظرون).

● قال الإمام أبو جعفر الطبري في هذه الآية ، وإنما إنما قيل ( ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه ) لأن قوماً من أصحاب رسول الله ﷺ ممن لم يشهد بدرًا، كانوا يتمنون قبل أحد يومًا مثل يوم بدر، فيبئلو الله من أنفسهم خيرًا، وينالوا من الأجر مثل ما نال أهل بدر ، فلما كان يوم أحد فرّ بعضهم، وصبر بعضهم حتى أوفى بما كان عاهد الله قبل ذلك، فعاتب الله من فر منهم فقال (ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه) وأثنى على الصابرين منهم والموفين بعهدهم .

● وقال الإمام ابن الجوزي : اعلم أن تمني لقاء العدو يتضمن أمرين :

أحدهما: استدعاء البلاء .

والثاني: ادعاء الصبر .

وما يدري الإنسان كيف يكون صبره على البلاء، والمدعي متوكل على قوته، معرض بدعواه عن ملاحظة الأقدار وتصرفها، ومن كان كذلك وكل إلى دعواه، كما تمنى الذين فاتتهم غزاة بدر فلم يثبتوا يوم أحد، وكما أعجبهم كثرتهم يوم حنين فهزموا، وقد نبه هذا الحديث على أنه لا ينبغي لأحد أن يتمنى البلاء بحال .

● **وقال ابن تيمية :** وَأَمَّا مَا يَكُونُ قَبْلَ الْقَضَاءِ فَهُوَ عَزَمَ عَلَى الرِّضَا لَا حَقِيقَةَ الرِّضَا ؛ وَلِهَذَا كَانَ طَائِفَةٌ مِنَ الْمَشَائِخِ يَغْرُمُونَ عَلَى الرِّضَا قَبْلَ وَثُوعِ الْبَلَاءِ ؛ فَإِذَا وَقَعَ انْفَسَحَتْ عَزَائِمُهُمْ كَمَا يَفْعُ نَحْوُ ذَلِكَ فِي الصَّبْرِ وَغَيْرِهِ كَمَا قَالَ تَعَالَى (وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ) وَقَالَ تَعَالَى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَمْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ) وقال تعالى (كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ) وقال تعالى (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ) نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ لَمَّا قَالُوا لَوْ عَلِمْنَا أَيَّ الْأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ لَعَمِلْنَاهُ فَانْزَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى آيَةُ الْجِهَادِ فَكَرِهَهُ مِنْ كَرِهِهِ ، وَلِهَذَا كَرِهَ لِلْمَرْءِ أَنْ يَتَعَرَّضَ لِلْبَلَاءِ بِأَنْ يُوجِبَ عَلَى نَفْسِهِ مَا لَا يُوجِبُهُ الشَّارِعُ عَلَيْهِ بِالْعَهْدِ وَالنَّذْرِ وَنَحْوِ ذَلِكَ ، أَوْ يَطْلُبَ وَلَاقِيَةً أَوْ يُقَدِّمَ عَلَى بَلَدٍ فِيهِ طَاعُونَ ، كَمَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ غَيْرِ وَجْهِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ (أَنَّهُ هَمَى عَنِ النَّذْرِ ؛ وَقَالَ : إِنَّهُ لَا يَأْتِي بِخَيْرٍ وَإِنَّمَا يُسْتَخْرَجُ بِهِ مِنَ الْبَحِيلِ) وَثَبَتَ عَنْهُ فِي الصَّحِيحَيْنِ أَنَّهُ قَالَ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَمُرَةَ (لَا تَسْأَلِ الْإِمَارَةَ فَإِنَّكَ إِن أُعْطِيتَهَا عَنْ مَسْأَلَةٍ وَكِلْتَا إِلَيْهَا وَإِنْ أُعْطِيتَهَا عَنْ مَسْأَلَةٍ أُعِنْتَ عَلَيْهَا ؛ وَإِذَا حَلَفْتَ عَلَى يَمِينٍ فَرَأَيْتَ غَيْرَهَا خَيْرًا مِنْهَا فَأَتِ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ وَكَفِّرْ عَنِ يَمِينِكَ) وَثَبَتَ عَنْهُ فِي الصَّحِيحَيْنِ أَنَّهُ (قَالَ فِي الطَّاعُونَ : إِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ بَارِضٍ فَلَا تُقَدِّمُوا عَلَيْهِ وَإِذَا وَقَعَ بَارِضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا فَلَا تَخْرُجُوا فِرَارًا مِنْهُ) . وَثَبَتَ عَنْهُ فِي الصَّحِيحَيْنِ أَنَّهُ قَالَ (لَا تَتَمَنَّوْا لِقَاءَ الْعَدُوِّ وَاسْأَلُوا اللَّهَ الْعَافِيَةَ وَلَكِنْ إِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاصْبِرُوا وَاعْلَمُوا أَنَّ الْجَنَّةَ تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ) وَأَمَّا ذَلِكَ بِمَا يَقْتَضِي أَنَّ الْإِنْسَانَ لَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَسْعَى فِيمَا يُوجِبُ عَلَيْهِ أَشْيَاءَ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِ أَشْيَاءَ فَيَبْخُلُ بِالْوَفَاءِ ؛ وَكَمَا يَفْعَلُ كَثِيرٌ مِمَّنْ يُعَاهِدُ اللَّهُ عُهْدًا عَلَى أُمُورٍ وَغَالِبٌ هَؤُلَاءِ يُبْتَلَوْنَ بِنَقْضِ الْعُهُودِ .

**وقال رحمه الله :** وَقَدْ جَاءَتْ شَوَاهِدُ السُّنَّةِ : بِأَنَّ مَنْ أُبْتَلِيَ بِغَيْرِ تَعَرُّضٍ مِنْهُ أَعْيَنَ ، وَمَنْ تَعَرَّضَ لِلْبَلَاءِ خِيفَ عَلَيْهِ .  
مِثْلُ قَوْلِهِ ﷺ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَمُرَةَ (لَا تَسْأَلِ الْإِمَارَةَ فَإِنَّكَ إِن أُعْطِيتَهَا عَنْ مَسْأَلَةٍ وَكِلْتَا إِلَيْهَا وَإِنْ أُعْطِيتَهَا عَنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ أُعِنْتَ عَلَيْهَا) .

وَمِنْهُ قَوْلُهُ ( لَا تَتَمَنَّوْا لِقَاءَ الْعَدُوِّ وَاسْأَلُوا اللَّهَ الْعَافِيَةَ فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاصْبِرُوا ) .  
وَفِي السُّنَنِ (مَنْ سَأَلَ الْقَضَاءَ وَاسْتَعَانَ عَلَيْهِ بِالشُّفْعَاءِ وَكَلَّ إِلَيْهِ وَمَنْ لَمْ يَسْأَلِ الْقَضَاءَ وَلَمْ يَسْتَعِنْ عَلَيْهِ أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ مَلَكًا يُسَدِّدُهُ) وَفِي رِوَايَةٍ (وَأِنْ أُكْرِهَ عَلَيْهِ) .

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ أَنَّهُ ﷺ قَالَ فِي الطَّاعُونَ (إِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ بَارِضٍ فَلَا تُقَدِّمُوا عَلَيْهِ؛ وَإِذَا وَقَعَ بَارِضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا فَلَا تَخْرُجُوا فِرَارًا مِنْهُ) .  
وَعَنْهُ أَنَّهُ ﷺ ( هَمَى عَنِ النَّذْرِ ) .

وَمِنْهُ قَوْلُهُ ( دُرُوبِي مَا تَرَكْتُمْ فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِكَثْرَةِ سُؤْلِهِمْ وَاخْتِلَافِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ، فَإِذَا هَمَيْتُمْ عَنْ شَيْءٍ فَاجْتَنِبُوهُ، وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأَتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ ) .

٢- استحباب سؤال العافية في الدنيا والآخرة .

وَقَدْ كَثُرَتْ الْأَحَادِيثُ فِي الْأَمْرِ بِسُؤَالِ الْعَافِيَةِ ، وَهِيَ مِنَ الْأَلْفَافِ الْعَامَّةِ الْمُتَنَاوِلَةِ لِدَفْعِ جَمِيعِ الْمَكْرُوهَاتِ فِي الْبَدَنِ وَالْبَاطِنِ ، فِي الدِّينِ وَالْدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ . اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَافِيَةَ الْعَامَّةَ لِي وَلِأَحِبَّائِي وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ .

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ أ) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَمَرَ رَجُلًا إِذَا أَخَذَ مَضْجَعَهُ أَنْ يَقُولَ : اللَّهُمَّ خَلَقْتَ نَفْسِي وَأَنْتَ تَوَفَّاهَا لَكَ مَمَّاكُهَا وَمَحَبَّاهَا إِنْ أَحْيَيْتَهَا فَاحْفَظْهَا وَإِنْ أَمَتَهَا فَاعْفُزْ لَهَا اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَافِيَةَ ) رواه مسلم .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال (لم يكن النبي ﷺ يدع هؤلاء الدعوات حين يمسي وحين يصبح: "اللهم إني أسألك العافية في الدنيا والآخرة، اللهم إني أسألك العفو والعافية في ديني ودنياي وأهلي ومالي، اللهم استر عوراتي وآمن روعاتي، اللهم احفظني من بين يدي ومن خلفي، وعن يميني، وعن شمالي، ومن فوقي، وأعوذ بعظمتك أن أغتال من تحتي) . رواه الترمذي

عَنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ عَلِّمْنِي شَيْئًا أَسْأَلُهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، قَالَ: "سَلِ اللَّهَ الْعَافِيَةَ" فَمَكَّنْتُ أَيَّامًا ثُمَّ جِئْتُ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ عَلِّمْنِي شَيْئًا أَسْأَلُهُ اللَّهُ، فَقَالَ لِي: "يَا عَبَّاسُ يَا عَمَّ رَسُولَ اللَّهِ سَلِ اللَّهَ الْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ) رواه الترمذي .

**قال العلامة "المباركفوري في تحفة الأحمدي بشرح جامع الترمذي: (سَلِ اللَّهَ الْعَافِيَةَ) فِي أَمْرِهِ ﷺ لِلْعَبَّاسِ بِالدُّعَاءِ بِالْعَافِيَةِ بَعْدَ تَكْرِيرِ الْعَبَّاسِ سُؤْلَهُ بِأَنْ يُعَلِّمَهُ شَيْئًا يَسْأَلُ اللَّهَ بِهِ دَلِيلٌ جَلِيلٌ بِأَنَّ الدُّعَاءَ بِالْعَافِيَةِ لَا يُسَاوِيهِ شَيْءٌ مِنَ الْأَدْعِيَةِ وَلَا يَقُومُ مَقَامَهُ شَيْءٌ مِنَ الْكَلَامِ الَّذِي يُدْعَى بِهِ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، وَقَدْ تَقَدَّمَ تَحْقِيقُ مَعْنَى الْعَافِيَةِ أَهْمًا دِفَاعُ اللَّهِ عَنِ الْعَبْدِ، فَالدَّاعِي بِهَا قَدْ سَأَلَ رَبَّهُ دِفَاعَهُ عَنْ كُلِّ مَا يَنْوِيهِ، وَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُنْزِلُ عَمَّهُ الْعَبَّاسَ مَنْزِلَةَ أَبِيهِ وَيَرَى لَهُ مِنَ الْحَقِّ مَا يَرَى الْوَلَدُ لِوَالِدِهِ فَيُفِي تَخْصِيصِهِ بِهَذَا الدُّعَاءِ وَقَصْرِهِ عَلَى مُجَرَّدِ الدُّعَاءِ بِالْعَافِيَةِ تَحْرِيكٌ لَهُمْ الرَّاغِبِينَ عَلَى مُلَازِمَتِهِ وَأَنْ يَجْعَلُوهُ مِنْ أَعْظَمِ مَا يَتَوَسَّلُونَ بِهِ إِلَى رَبِّهِمْ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَيُسْتَدْفَعُونَ بِهِ فِي كُلِّ مَا يُهْمُهُمْ، ثُمَّ كَلَّمَهُ ﷺ بِقَوْلِهِ: ( سَلِ اللَّهَ الْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ) . فَكَانَ هَذَا الدُّعَاءُ مِنْ هَذِهِ الْحَيَثُوتِ قَدْ صَارَ عُدَّةً لِدَفْعِ كُلِّ ضَرٍّ وَجَلْبِ كُلِّ خَيْرٍ، وَالْأَحَادِيثُ فِي هَذَا الْمَعْنَى كَثِيرَةٌ جَدًّا . قَالَ الْجَزَيْرِيُّ فِي عِدَّةِ الْحِصْنِ الْحَصِينِ: لَقَدْ تَوَاتَرَ عَنْهُ ﷺ دُعَاؤُهُ بِالْعَافِيَةِ وَوَرَدَ عَنْهُ ﷺ لَفْظًا وَمَعْنَى مِنْ نَحْوِ مِنْ خَمْسِينَ طَرِيقًا .**

٣- في قوله ( وإذا لقيتم فاصبروا ) هَذَا حَثٌّ عَلَى الصَّبْرِ فِي الْقِتَالِ وَهُوَ أَكَّدُ أَزْكَانِهِ ، وَقَدْ جَمَعَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ آدَابَ الْقِتَالِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ، وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ، وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ، وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ). وقد حرم الله الفرار من الزحف كما قال تعالى ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفُوا زَحَفًا فَلَا تُولُوهُمْ الْأَذْبَارَ . وَمَنْ يُؤْلِهِمْ يَوْمَئِذٍ ذُبْرُهُ إِلَّا مَنْ تَحَرَّفَ لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّرًا إِلَى فِتْنَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ) .

٤- فضل الجهاد في سبيل الله وأنه من أسباب دخول الجنة .

لِقَوْلِهِ ( واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف ) فَمَعْنَاهُ : ثَوَابُ اللَّهِ ، وَالسَّبَبُ الْمَوْصَلُ إِلَى الْجَنَّةِ عِنْدَ الضَّرْبِ بِالسُّيُوفِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَمَشْيِ الْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، فَاحْضَرُوا فِيهِ بِصِدْقٍ وَاثْبُتُوا .

وقال ﷺ ( إِنَّ أَبْوَابَ الْجَنَّةِ تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ ) قَالَ الْعُلَمَاءُ : مَعْنَاهُ : إِنَّ الْجِهَادَ وَحُضُورَ مَعْرَكَةِ الْقِتَالِ طَرِيقٌ إِلَى الْجَنَّةِ وَسَبَبٌ لِدُخُولِهَا .

عن أبي بكر بن أبي موسى الأشعري قال: سمعت أبي بحضرة العدو يقول: قال رسول الله ﷺ ( إن أبواب الجنة تحت ظلال السيوف ) فقال رجل من القوم رث الهيئة: أنت سمعت هذا من رسول ﷺ يذكره؟ قال نعم، فرجع إلى أصحابه فقال: أقرأ عليكم السلام وكسر جفن سيفه فضرب به حتى قتل ) رواه مسلم .

قال تعالى ( إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ هُمْ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ) .

وقال تعالى ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ . تَوَمَّنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ . يَغْفِرَ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ) .

والله أعلم؛

وصلى الله وسلم على نبينا محمد  
أخوكم

الشيخ/ سليمان بن محمد الهميميد  
السعودية - رفحاء